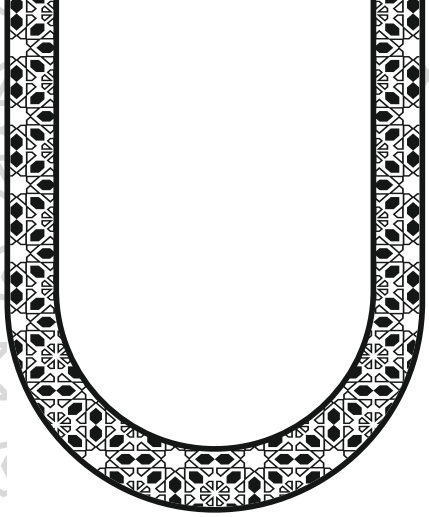

دقّـت ساعـة سورين!

البصرة.. وجوه وأمكنة

814
أ ٣٨٤ الأحمد، محمد سهيل
دقّـت ساعـة سـورين! البصرة.. وجوه وأمكنة، محمد سهيل احمد، ط١
البصـــرة، ديـــوان محافظـــة البصـــرة، ٢٠٢٤م
٢٠٢٤م، ١٧٠ ص. ، ٢٤ سم
١. المقالة العربية، أ. العنـــوان

رقـــم الايداع
٤٩٢ / ٢٠٢٤م

المكتبـة الوطنيـة / الفهرسـة أثنـاء النشـر

رقـم الايـداع فـي دار الكتـب والوثـائـق ببغداد (٤٩٢) لسنـة ٢٠٢٤م

طبـع فـي
جمهورية العراق ◉ محافظة البصرة
برعـايـة
ديوان محافظة البصرة

كل الحقوق محفوظة للناشر

◈ جميع الحقوق محفوظة باستثناء اقتباس فقرات قصيرة لغرض النقد أو المراجعة، فلا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو تخزينه في نظام الاسترجاع أو نقله بأي طريقة من دون الحصول على إذن مسبق من الناشر.

◇ All rights reserved. Except for the quotation of short passages for purposes of criticism or review, no part of this publication may be reproduced, stored in retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, without written permission of the publisher.

الطبعة الأولى
2024

ديوان محافظة البصرة
BASRA GOVERNORATE
Republic Of Iraq - Basra Governorate
www.basra.gov.iq/ar

تصميم جواد الظفر

البصرة

تاريخ عريق وثقافة متجددة

سلسلة إصدارات تهتم بالشأن البصري تصدر عن ديوان محافظة البصرة

دقّت ساعة سورين!

البصرة.. وجوه وأمكنة

محمد سهيل احمد

ديوان محافظة البصرة
2024

04

مقدمة

هذا هو الكتاب الثاني الذي انجزه عن البصرة، المدينة الَّتِي عشقتها طيلة سنوات عمري وسأبقى عاشقا لها لما تبقى لي من أيَّام. فِي الكتاب الأول ذي العنوان (بين الرمل والماء.. البصرة صور وحكايات) بحثت فِي الشأن التوثيقي لمدينتي معززا ما نشرته من معلومات بعدد كبير من الصور ناهز سبعا وستين صورة فوتوغرافية بالأبيض والأسود استللتها من مصادر شتى كان معظمها اجنبيا. وقد لقي الكتاب الأول ردود افعال ايجابية من شرائح واسعة من المعنيين بمدينة السندباد والفراهيدي والحسن البصري والسياب.

وها انا أقدم للقارئ الأريب هذه المحاولة الثانية بناء على طلب من لدن جهات المتابعة فِي محافظة البصرة اذكر من بينهم الدكتور ضرغام الاجودي والشاب الناشط الاستاذ ماجد البريكان فلهما الشكر والتقدير ولكل من أسهم فِي اخراج هذا المنجز.

في هذا الكتاب أقدم جملة من الكشوفات الَّتِي توصلت اليها خلال رحلة البحث والتنقيب فِي تاريخ مدينة كانت وما زالت مسرحا لأحداث كبار، اضافة الى ما أمكنني من اقتناصه من الصور الفوتوغرافية ومن مصادر متعددة. كما التمس المعذرة فِي حال وجود نقص او تقصير او عدم دقة فِي نقل هذه الحكاية او تلك. كما اوجه تحية الإكبار والاعتزاز للقارئ الكريم الذي لم يألُ جهدا فِي المتابعة والإسهام فِي فكِّ شيفرات تاريخ مدينتنا العريق كما اوجه خالص التحايا للقارئ المتبع حيثما وجد وللمؤسسات الَّتِي هيأت قاعاتها ومنابرها من اجل استعادة المندثر والمنسي فِي تاريخ مدينة العطاء.

المؤلف

القسم الأول

01

الفصل الأول

من اين جاءت تسمية العشار ؟

لم تكن هنالك ما يسمىٰ بمنطقة العشار اذ كانت المنطقة محض مسطحات مائية محفوفة بأدغال من الحلفاء وعدد هائل من النخيل غير مأهولة بالسكان عدا من كاد يفد اليها من ضواحي البصرة كالبدو القادمين من صحراء الزبير وجماعات من سكان الاهوار(المعدان) قدموا اليها منذ قرون باحثين عن الكلأ والأمان المفتقد فِي حاضناتهم الأصلية لأسباب تتعلق بالنزاع حول مصادر الماء والغذاء وأماكن السكن. ومع مرور السنوات وتزامنا مع الحراك التجاري الذي اتخذ من البصرة منطلقا له، انتعشت منطقة العشار وازدهرت الحياة فيها بيوتا ودكاكين ومراكب وزوارق فِي حقب كاد النقل النهري ان يكون الوسيلة الوحيدة لنقل الركاب والسلع. ومع تعاظم دور البصرة فِي كونه الميناء الخليجي الأهم دبّ النشاط فِي منطقتي البصرة القديمة والعشار، الا انه كان أكثر تواجدا فِي (السيف). كان العشار مجرد قصبة اكتسبت اهميتها من مرور المهيلات والدوب والزوارق عبر انهار كل من العشار والخورة والخندق والرباط.

وقد عزز الاحتلال البريطاني اهمية العشار من الناحية التجارية وكان ذلك رد فعل متوقعا ذلك لان قوة بريطانيا العظمىٰ كانت تكمن فِي البحر والدليل علىٰ ذلك تفوقها البحري علىٰ قوىٰ بحرية اوربية كبرىٰ كفرنسا نابليون وألمانيا وهولندا واسبانيا والبرتغال. وهكذا سحبت بريطانيا البساط من تحت قدمي البصرة القديمة الَّتِي كانت تعد بمثابة القاعدة التجارية للدولة العثمانية من حيث تعاملها مع بدو الحافات الصحراوية ومع مدن اشتهرت بصادراتها وارداتها كحلب ودمشق والمرافئ الفلسطينية. ونتيجة لتبدل المراكز التجارية ازدهرت محلة العشار حيث يقال

ان تسمية العشار انبثقت من نسبة العشـر الَّتِي كانت تستقطع من الدوب والمهيلات والسفن الصغيرة والتي كانت تنطلق من مداخل نهر العشار باتجاه البصـرة وهكـذا انشأت العديد من المقاهي من جهة محلة المقام على الضفة الشمالية لنهر العشار. لكن ثمة رأيا يقول بأن أصل تسمية العشار -بكسـر العين- يعود الى نوق التجـار البـدو القادمين من الزبير لغرض بيع سلعهم المؤلفة من الأنعام والكمأ والملابـس البدويـة الطراز والدهن الحر والأبل ذلك لأن الناقة الَّتِي يناهز حملهـا عشـرة مـن الشـهور تسمى بالنوق العِشار، ومن ذلك الصنف من النشاط سميت تلك الارض المحاذيـة لشط العرب بقصبة العِشار. لكن لا شك ان الرواية الأكثـر ذيوعـا ومعقوليـة ذات صلة بالاقتطاع الضريبي لدى المتنفذين فِي الدولة العثمانية ولدى اوساط التجار مـن المسمين واليهود حيث كانت تقتطع نسبة عشـرة بالمائـة مـن سـعر البضـاعة. ومـع الأيَّـام ظهرت للنور محـلات فرعيـة شـرقا وغربـا كمحلـة (المقـام) و(البجـاري) و(الصالحية) و(الرواسة) و(الـدوب) لتبـدأ نهوضـها التجـاري مـع التواجـد غـير المباشـر للقوى العظمى وعلى رأسها بريطانيا جنب الى جنب هولندا والبرتغال. غير ان بريطانيا سعت وبضراوة لإزاحة تلك القوتين لتنفرد بالنفوذ العثماني وتعمل عـلى قصمه عـلى نحـو جـذري مـع غزوهـا الأول للعـراق ابـان الحـرب العالميـة الاولى ١٩١٤متخذة من ميناء البصـرة نقطة انطلاق الى بقيـة المـدن العراقيـة لتجعـل مـن البصـرة وعموم البلد معبرا الى بلاد الهند. يقول أحد الكتاب البصـريين متحدثا عن ضريبة العشـر: «بعدها نصل الى جسـر المقام ذي الممرين لعبور السـيارات والـذي يقابل ساحة اسد بابَل بداية شارع الـوطني. وبعـد الجسـر هنالـك منطقـة العشـر للمحاصيل الزراعية والخضروات والحبوب وهنا نسمع صخب الباعة وقـد سـمي بالعشـر حيث يؤخذ عشـر المحصول للجهات ذات العلاقة».

alamy
Image ID: 2M3P7EH
www.alamy.com

العشار سكلة البصرة
Ashar - Port of BASSRAH
J. S. Hoory

ASHAR CREEK—THE MAIN WATERWAY LEADING FROM THE SHATT-AL-ARAB RIVER TO THE CITY OF BASRAH. NATIVE PASSENGER CRAFT (BELLUMS) IN FOREGROUND

113

Bassra Government Dpts. (Mutasarifiah) Ashar
متصرفية البصره : عشار

مجموعة تراث البصرة
Kechla Road, Ashar, Basra

مجموعة تراث البصرة

IWM

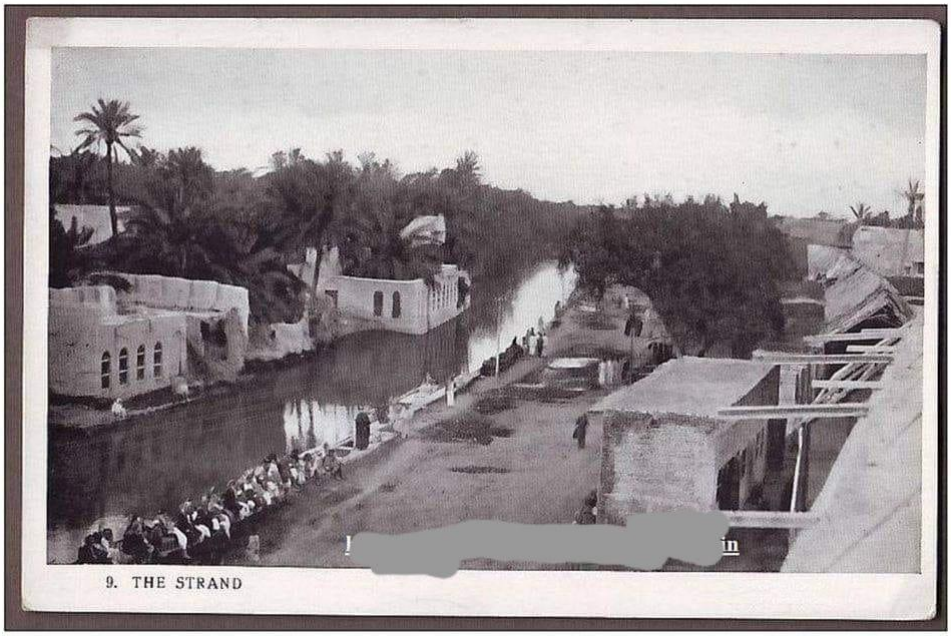
9. THE STRAND

الفصل الثاني

دقت ساعة سورين!

نقل أحد الاخوة فقرات من تاريخ تشييد تلك الساعة فقال:

«احتضن هذا البرج ساعة سورين الذي انشأ عام ١٩٠٦م ويقع على عتبة الجسر الخشبي المؤدي لسوق الصيادلة، أو سوق المغايز، أو سوق الهنود.. والتي جاء اسمها من المصور الشمسي (سورين)، وهو رجل ارمني بدين، كان يتخذ من فتحة الجسر مكانا لكاميرته الخشبية البدائية، وأحبه الناس لابتسامته البريئة ولهجته الهجينة. وتتميز هذه الساعة الَّتِي تزين قمة البرج بوجوهها الاربع المستديرة ويحمل برجها مؤشراً ملاحياً كبيراً لتحديد اتجاهات الريح، وأربعة أسهم مكتوب على أطرافها الحرف الأول للاتجاهات باللغة الإنجليزية. وصاحب المبنى الذي يحوي البرج والساعة كان تاجراً يهودياً من أصل روسي، وكان وكيلا لشركة ألمانية متخصصة بإنتاج المحركات الميكانيكية والأدوات الكهربائية. وكان المبنى يضم ايضا مكاتب أكبر تجار البصرة انذاك. وقد تمت إزالتها فِي عام ١٩٦٥ فِي عهد متصرف لواء البصرة (محافظ البصرة) محمد الحياني بذريعة طمس اسمها الأرميني وقد قتل هذا المحافظ بعد يومين من هدمه ساعة سورين الشهيرة بحادثة الطائرة الَّتِي كانت تقله مع الرئيس عبد السلام عارف فِي منطقة النشوة بالبصرة. وساعة سورين كانت مثل ساعة (بك بن) عند أهالي لندن ومثل ساعة القشلة لدى البغداديين. وكان البصريون ينظرون لها منذ ستة عقود من الزمن بعين الرضا والحب والأرتياح كواحدة من اهم معالم البصرة، حيثُ كانت تُمثل لهم الرمز البصري لتاريخ البصرة المزدهر. وهناك محاولات من بعض الميسورين من

اصحاب الشركات التجارية لإعادة الساعة والبناء إلى الوجود من جديد وكلنا امل بذلك حتى لكي لا تختفي سورين من الذاكرة إلى الأبد». ومع تقديري لما كتبه مؤلف السطور فِي حق هذه الساعة، الا ان فِي مقالته خطأ تاريخي بقوله انها ركبت عام ١٩٠٦ بينما فِي الواقع انها انشأت فِي بداية الثلاثينيات من القرن الماضي، وقد بذلت جهدا مضنيا فِي سبيل تفنيد هذا الخطأ فقد لاحظت من خلال تفحصي لعدد كبير من الصور الَّتِي تمثل جوانب من نهر العشار حيث كانت الساعة شامخة عند ركن جسر المغايز وأن الصور كانت تخلو من وجود تلك الساعة لاسيما وان تلك الصور حملت تواريخ بين عام ١٩١٨ وعقد العشرينيات. فلو ان الساعة قد شيدت فِي عام ١٩٠٦ لظهرت فِي الصور الَّتِي يعود تاريخها للعشرينيات واوائل الثلاثينيات.

كانت وما زالت ساعة سورين من ابرز شواخص العشار لدى اهل المدينة وما زالت دقاتها تقرع فِي رؤوس من طعنوا فِي السن، حتى شاد بذكرها العديد من الأدباء، نقتطف هذا المقطع للشاعر كاظم اللايذ الذي يردد فِي قصيدته المهداة للقاص الراحل محمود عبد الوهاب والمسماة (ساعة سورين تدق له):

«تضجّ الساعة فِي اعلى البرج

على الجسر الخشبي

بدقتها السبعين

وتمود لتضرب سبعا:

هذا قدّاس سنيك

ياخزّاف الكلمات

ويامملوك صـرار الوراقين»

اما الشاعر كريم جخيور فينشد للساعة قائلا:

«ساعة سورين

لم أرها قط

لكنني لا أعرف لماذا

كلما دار الحديث عن ساعة سورين

التي كانت تنتصب بقامتها

في واجهة سوق المغايز

الهنود سابقا

أتخيل

كيف كان الناس يضبطون

مواقيت صلاتهم

على دقات ساعة الأرمني سورين

.....

أتخيل عاشقا

كان يفرك كفيه قلقا

وهو يسمع دقاتها»

هدم الساعة وما جاورها

يتحدث المشاور القانوني فِي بلدية البصرة الرحوم رجب بركات فِي كتاب (بلدية البصرة) عن ملابسات هدم ساعة سورين وما جاورها من ابنية اضافة الى الهدم الممنهج لشواخص عمرانية اخرى فِي محلة (البجاري) المطلة على نهر العشار فيقول: «كانت مجموعة الأبنية والمنشآت المقترحة لاستقامة الشارع الممتدة من جامع مقام علي ولغاية جسر المتصرفية مطلة على نهر العشار ومحاذية لشارع عرف فيما بعد بشارع المهندسين. وقد باشرت البلدية باستملاكه حتى ان بعض فواصل الشارع قبل الهدم كانت مشيدة بأطواق حجرية مشيد عليها دور سكن والأخريات مجموعة من الشناشيلات المطلة على نهر العشار بما فيها مجموعة المقاهي على ضفة النهر المذكور. وأن مسار هذا الشارع رسم قبل الهدم من قبل بعض هواة التصوير بالحالة الَّتِي عليها. ومخططات الرسم موضحة تلك المعالم ومودعة لدى بلدية البصرة، وكان بالمستطاع الحفاظ عليها لو انها استملكت لأغراض ريازتها القديمة وبالكيفية الَّتِي كانت عليها ويمكن اعادة بنائها مجددا ويمكن ان يكون ذلك على جانب النهر الذي ابقي فِي منطقة البصرة بعد ان وضعت الآثار يدها على بعض الدور التراثية هناك. وفي الدور الَّتِي هدمت تلك البناية الَّتِي يشغلها البنك العربي فِي رقبة جسر العشار (الصيادلة) وهي القديمة، وكانت هذه البناية تشغلها شركة اجنبية (بيت سورين). وأن الركن الجنوبي الشرقي منها شيد عليه برج ساعة دقاقة عالية ارادت البلدية ان تبقيها بعد اعمال الهدم الَّتِي لحقت بالبناية، الا ان هدم الجزء المتعلق بالبرج جعل بقاء البرج بتلك الكيفية بمكان».

مبررات الهدم

ويستأنف الراحل بركات فِي الفصل الموسوم (الشارع الشمالي لنهر العشار.. من جسر المتصرفية حتىٰ جسر مقام علي) قائلا: «وقد بينت المتصرفية بكتابها ٩٩٣٩ فِي ٢١/ ١٠/ ١٩٦٥ علىٰ موافقتها بأن تقوم البلدية بهدم بناية الساعة المنشأة فِي مدخل شارع الصيادلة بالعشار استنادا الىٰ تقرير اللجنة الفنية المؤلفة لهذه الغاية والخطر من التخلخل الحاصل الذي يؤدي الىٰ انهدامها. فقرر المجلس البلدي بقرار رقم (٥٥) الفقرة (٢٠) فِي ٢/ ١١/ ١٩٦٥ هدم البرج لإزالة الخطورة. ويمكن ان يكون بالمستطاع الحفاظ علىٰ عموم تلك البناية وبرج ساعتها وكذلك المحافظة علىٰ بناية اخرىٰ (دار محمد خلف العبد الواحد) مع التوسع فِي امتداد الشارع عمقا واعتبار عمق البنايتين وما يستملك من الدور المجاورة لهما كمواقف وحدائق مطلة علىٰ نهر العشار اضافة الىٰ ابقاء تلك المقاهي ذات الشناشيلات فِي منطقة (مقام علي) دون السماح مثلا الىٰ ان ينشأ فِي منطقة المقام حتىٰ مدخل شارع الصيادلة مجموعة من العمارات مما ضيق الخناق علىٰ الشارع المذكور وانعدمت الفائدة من امتداده؛ للضيق الذي لا يستوعب حركة المرور فيه. وبعد انجاز معاملات الاستملاك وهدم المنشآت، اعلنت مناقصة تبليط الشارع الذي سمي (شارع الحياني) فِي حينه وتم تخصيص مبلغ ٢٦٦٩٠٠٠٠ وذلك كما جاء بكتاب المتصرفية (٦١٨٥) فِي ٩/ ٨/ ١٩٦٦. ويخلص رجب بركات للقول: «لقد كان التوسع فِي ضم مناطق جديدة وادخالها ضمن حدود البلدية عفويا وغير مدروس! ولم تخطط البلدية مسبقا ما ستكون عليه الرقعة الجديدة بل انها لاحظت ما حدث من عمران خارج حدودها وألحقت تلك المناطق بها. ومن هنا بدأ الإشكال فِي معالجة ما دخل اليها عند تخطيط الشوارع فِي تلك المناطق الملحقة وتثبيت محلاتها ومناطقها العمرانية، لأن العمران

الذي تمّ لم يكن مقيدا بتخطيط لهذا وجدنا البلدية انفقت الكثير لتبديل وتغيير واقع تلك المناطق وفقا لما لديها من قوانين وانظمة، وهذا الكثير افقدنا القديم الذي كان اولى بإنجازه قبل ان تدخل في متاهات جديدة». انتهى كلام الراحل رجب بركات ولم ينته اذ ما زالت فوضى التخبط تضرب اطنابها في تضميم وتنظيم العديد من بقاع المدينة وصدق من قال: غلطة الشاطر بألف!

جثمان الساعة

حدثني أزهر محمد علي الحداد، وهو أحد اصهارنا ومن طلبتي في سبعينيات اعدادية العشار؛ انه في اواخر السبعينيات-ما بين سنتي ١٩٧٨ و١٩٧٩- زار احد كراجات البلدية القريبة من ساحة سعد لتقع أبصاره على مشهد مؤلم وغريب، في آن معا: جثمان ساعة سورين ملقى بين كراكيب احد الأركان مطمورا تحت طنّ من الغبار وكل ماله صلة بخشاش الأرض. ذلك المصير يوحي بأكثر من دلالة ومعنى اذ انه يعكس استخفافا بمثل هذه النفائس المعمارية جاء كمحصلة لعقلية صحراوية اعتادت حياة اللااستقرار حيث الريح سيدة المكان الأول والأخير ناهيك عما هو متغلغل في تلك العقلية من افكار ناجمة عن حالة التنقل الدائمة الَّتِي تعد واحدا من العوامل الرئيسة الَّتِي تهيمن على ذهنية البدوي الملثم. لسنا هنا بصدد اغفال خصال تلك العقلية من كرم ونخوة ونقاء في النظرة، إنما نتحدث عما يمكن ان نسميه بـ (حضارة الغبار)، ان كان لدى الغبار حضارة!

وفي الوقت الذي سجل هدم ساعة سورين باسم متصرف البصرة آنذاك محمد ندا الحياني، فإنني اعتقد شخصيا ان أوامر الهدم والإزالة جاءت كمحصلة لوعي جمعي بعيد كل البعد بكل ما يمت للفن المعماري بصلة.

لماذا لم يعترض القائمون على ادارة بلدية البصرة والادارة المحلية فِي وقتها ولماذا صمت وجهاء المدينة ولم يقوموا بالدفاع عن واحدة من أجمل علامات المدينة الفارقة؟! والأمر نفسه ينطبق على بيت محمد خلف العبد الواحد الذي شاده على غرار تصميم بلدية (بومبي) فِي الهند مثلما ينطبق على شناشيل البصرة وقشلة الحضارة العثمانية وعلى عدد كبير من الصروح الَّتِي ترسخ خصوصية المدينة وأعماقها الروحية والتجارية والتاريخية.

ان زيارة واحدة لمدينة اوربية يمكن ان توحي بمائة معنى ومغزى حضاري! فهل يمكن القول بوجود فارق بين حضارتي الصخر والغبار؟! ذلكم هو السؤال!

PhotoRoom

ساعة سورين والبنك العربي

PhotoRoom

الفصل الثالث

الاعدادية المركزية.. تاريخ حافل بالوجوه

اقترنت الإعدادية المركزية فِي ذاكرتي مبنىً وساحةً منذ صغر سني، اذ مازلت اذكر يوم اصطحبتني عمتي اليها لمشاهدة عرض لأحد حواة السيرك فِي ساحتها مما أثار دهشتي ورعبي فِي آن معا. ثم التحقت بها طالبا فِي المرحلة الاعدادية أواسط الستينات وهي الفترة الَّتِي سأظل محتفظا بالكثير من تفاصيلها لا سيما تلك المتعلقة بمدرسيها ممن تركوا فِي وجداني أكثر الذكريات اخضراراً.

من الأدبي الى العلمي

التحقت بالقسم الأدبي لا عن سابق وعي وإدراك لملكاتي. وكل ما اعرفه انني كنت اميل للموضوعات الأدبية المشحونة بالعاطفة والخيال. ويبدو انني التحقت بالقسم العلمي كنتيجة لقصور فِي الوعي بميولي. وما هي إلا فترة قصيرة لا تتجاوز الشهر حتىٰ تيقنت من انني وقعت فِي مصيدة اسمها الموضوعات العلمية الَّتِي لم أكن افقه منها شيئا. ومن سوء حظي إنني خضت امتحانات مادة المثلثات والرياضيات الَّتِي أجراها أستاذنا الراحل جعفر يسر الصيوان فِي وقت مبكر لتجيء النتيجة صادمة لتكملها مادتا الفيزياء والرياضيات فأجد نفسي بين الصفر والعشر من الدرجات فِي المواد المذكورة أعلاه! تلك الوهدة لم يخرجني منها الا مدرس مادة الكيمياء الاستاذ المرح الراحل فؤاد الخفاجي فقد كنت أحضر إحدىٰ المحاضرات الَّتِي وجدتها باعثة علىٰ السأم لعدم فهمي لها، حيث اعلن بصوته المميز:

-«من يرغب فِي الانتقال الى القسم الأدبي فليتبعني»..

كانت تلك فرصتي الذهبية الَّتِي كدت اضيعها،اذ كان الاستاذ المعلن على وشك مغادرة الصف حين رفعت يدي بعد طول تردد، وما ان غادرت الصف بمعيته بخطى وجلة حتى نلت منه دفعة باليد تلتها رفسة بارعة بالقدم وهو يتضاحك:

-أأنت اخرس يا محمد؟!

فيما بعد عرفت سبب (ميانته) وسر ركلته فقد عادت بي الذاكرة الى أيَّام صباي حيث كنت احيا فِي بيت ابن عم لوالدي انشأ ذات مرة معملا للألبان ليكون الاستاذ فؤاد مديرا لحساباته. لكنني مع الأيَّام نسيت اين عرفت ذلك المدرس حتى برقت ذاكرتي بمكتب ذلك المعمل اذ اعتاد عمي ان يوصيني بالذهاب الى (عموفؤاد) من اجل تسلم يوميتي الَّتِي لم تكن تتجاوز العشرة فلوس. وهكذا صرت واحدا من طلاب القسم الادبي ليقوم هو «رحمه الله» بتدريسنا مادة الكيمياء باسلوبه المحبب المبسط المطعم ببعض المفردات العامية.

الصف الرابع الادبي

كان صفنا الرابع الأدبي يقع ضمن الجناح الموازي لشارع الاعدادية الخلفي المؤدي لمدرسة الجمهورية النموذجية. تلقيت كنوز الادب والعلم على يد كوكبة من المدرسين اذكر منهم مدرس مادة اللغة الانكليزية خالد محمد صابر شقيق مدير الاعدادية المرهوب الجانب عبد عبد الجبار محمد صابر والذي اعتاد طلبة الاعدادية ان يسمونه (فرانكنشتاين)، مع أنني لم اجده مخيفا بتلك الصورة الَّتِي رسمتها مخيلة مجموعة من فتيان كانوا فِي سن المراهقة! كان الاستاذ خالد هادئ الطبع ذا سلوك

عالي التهذيب.

كما درسنا استاذ مادة العلوم الاستاذ شاكر حمودي بصوته الرخيم الآسر وكاريزما شكله الجميل وهي مواصفات كانت تجعل من مادته العلمية محببة وسهلة الهضم. ولكنه فِي عام ١٩٧٧ -وقتها لم اكن فِي القطر- تعرض مع مجموعة منزهة من مدرسي الاعدادية الى الاستجواب اثر حدوث فضيحة تسرب الاسئلة! وكان آخر لقاء لي مع الاستاذ شاكر فِي العبدلي أيَّام الثمانينات اثناء توجهه للعمل فِي الامارات، ولكنني وقبل أيَّام فوجئت بصورة له فِي واحدة من المدن الالمانية فشعرت بسرور كبير لتلك المصادفة.

من بين مَن علموني استاذ الاجتماعيات د. عبد الامير دكسن، وابراهيم الشرقاوي القادم من مصر، وعبد اللطيف الدليشي لمادة التربية الاسلامية والاستاذ قصي سالم علوان لمادة اللغة العربية وفؤاد الخفاجي لمادة الكيمياء كما اسلف ذكره، اضافة الى الاستاذ عبد الله الخطيب والرائع الفنان التشكيلي محمد راضي عبد الله والاستاذ يعرب عبد الكريم ابراهيم رحمه الله وآخرون.

الخامس الادبي.. السنة الأخيرة

من بين المدرسين ممن حظيت بتدريسهم معلمي الكبير استاذ مادة اللغة العربية الذي سبق وأن التقيته فِي متوسطة التحرير وكان له الفضل الأكبر فِي اندفاعتي الادبية كاظم نعمة التميمي الذي استأنف عنايته الفائقة بي تلميذا وقلما ادبيا واعدا. اما مدرس مادة اللغة الانكليزية عبد الجبار الملاح فكان من خيرة التربويين من ذوي المقدرة فِي مجال التدريس.

واذكر ان درجاتي فِي مادة اللغة الانكليزية ارتفعت بشكل ملموس بفضل رعايته الابوية لي. ومن بين ما اذكره موقف غير قابل للنسيان للملاح ففي اليوم الاول لتعييني مدرسا لمادة اللغة الانكليزية بإعدادية العشار (المركزية) استقبلني استقبالا حافلا وبالأحضان ما بدد مشاعر القلق والوجل الَّتِي رافقتني وانا اعبر بوابة مدرستي لا كطالب هذه المرة بل كمدرس! ولم يكن ذلك الاهتمام الاول من قبله اذ اذكر انه خرج ذات يوم لشراء جريدة من محل الراحل عبد هزاع ليقوم باستدعائي لغرفة الادارة مشيدا بالطالب الصغير الذي تمكن من نشر قصيدة مترجمة عن الانكليزية نشرت فِي احدىٰ صحفنا المحلية!

عديدة هي ذكريات الاعدادية المركزية ومعظمها خضراء كسعف البرحي. وما زلت اذكر وجوها من زملاء السنتين اللتين قضيتهما فِي جناحي الاعدادية اذكر من بينها صديق الطفولة والدراسة المحامي سليم عناد ودارا نور الدين بهاءالدين الذي التحق بالإعدادية بحكم عمل ابيه الكردي الجذور وكان مهذبا كثير المزاح انما باحتشام وسيصبح مستقبلا وزيرا للعدل، اضافة الىٰ اسماء اخرىٰ مثل الشاعر والمربي الصديق عبد العزيز عسير والقاضي موفق عبد الزهرة الديوان والمربي الفاضل ابن محلتي عبد الرزاق الاسدي والراحل عطية رسن ونان العبسي وكوكبة اخرىٰ من الاحياء والراحلين.

ختاما اروي هذه الطرفة الَّتِي جادت بها قريحة استاذ الكيمياء فؤاد الخفاجي ومفادها ان احد طلبة القسم الادبي وبعد تخرجه اضطر للعمل بصفة اسد فِي سيرك المدينة، وفي يوم من الأيَّام وبعد ان ارتدىٰ جلد الاسد ودخل القفص فوجئ بأسد حقيقي داخل القفص فارتعدت فرائصه رعبا غيران ذلك الاسد تقدم نحوه وهمس فِي اذنه:

-لا تخف.. انا مثلك متخرج من القسم الادبي!

مبنى لإعداديتين

في الحادي والثلاثين من شهر كانون الثاني ١٩٧٠ دخلت مبنى الاعدادية المركزية لا كطالب بل كمدرس فِي اعدادية العشار بقسمها الادبي الذي يتقاسم المبنى مع الاعدادية الاصل. ما اذكره انني لقيت مجموعة من المدرسين كان بعضهم مدرسا لي قبل اربع سنوات قضيتها فِي جامعة البصرة مثل المرحوم عبد الله الخطيب استاذ مادة التاريخ وقصي سالم علوان استاذي فِي الاعدادية والكلية ومصطفى النجار استاذ مادة الجغرافية ممن رحبوا بي بل ان استاذ اللغة الانكليزية عبد الجبار الملاح رحب بي ترحيبا غير اعتيادي مقدما اياي لكادر مدرسي المدرسة ما منحني جرعة من الثبات والتآلف مع الجو التدريسي الجديد. غير ان الميدان الحقيقي الذي سيكون محكا ومعيارا لترسيخ اسمي مادة وشخصية كان الصف المدرسي. وربما سبق لي التدريس فِي متوسطة المتنبي بصفة محاضر ولفترة قصيرة لكن ان افتتح مسيرتي التدريسية فِي كبرى اعداديات المدينة بشذرات من روحية طلابية بقيت عالقة فِي اهابي كان بمثابة امتحان عسير لم اكن مهيأً له!

مكافأة أم عقوبة؟

كان العام الدراسي الاول او بالأحرى النصف الثاني منه الفترة الاشد ايلاما بالنسبة لي. كان يفترض ان انسّب كمعيد فِي كلية التربية تمهيدا لإكمال دراساتي العليا وهو التقليد المتبع مع من احرزوا معدلات متقدمة فِي نتيجة العامين الاخيرين بكلية التربية. لقد كنت الاول على دفعتي بمعدل ٨٦ للسنة الاخيرة و٨١ لمعدل مرحلتي الثالث والرابع. قد يكون تعييني كمدرس فِي كبرى مدارس المدينة فرصة ذهبية لأي من خريجي تلك السنة ممن عينوا فِي بلدات بعيدة عن مركز المدينة كالفاو ونواحي

العمارة وسوق الشيوخ. لقد بدا ان ذلك التعيين فِي مركز المدينة كان مكافأة لي على نجاحي المتميز، غير ان طول تقليبي لدقائق الامور قادني الى بضع حقائق اليمة تتلخص فِي ان تعييني ذاك كان شكلا من اشكال العقوبة! لقد كنت ضحية لصراع سياسي محلي لم يكن لي فيه ناقة ولا جمل. ويبدو انني قُرئت على نحو مغلوط وانني ادرجت ضمن قائمة (المغضوب عليهم) وزج بي فِي منطقة لم تكن من صميم اهتماماتي المتمثلة فِي الترجمة وكتابة القصص. وهكذا جرى اتهامي على الشبهة من لدن اوساط لا تميز ما بين الفكر الوجودي والفكر الماركسي بطروحاته المعروفة!

أجيال من ذهب

في تلك الفترة الملتهبة سياسيا عملت كمدرس فِي اعدادية كان الفارق فِي العمر بيني وبين طلابها لا يتجاوز عاما او ثلاثة اعوام -واحيانا كان من طلابي من هم فِي سني ـ ما اتاح لي فرصة معايشة احتياجات الطلبة. ربما لم اكن مكتنزا على الصعيد المهني بحكم حداثة عهدي بالتدريس، غير انني وظفت وبنجاح العامل النفسي كمحصلة للمواد السيكولوجية الَّتِي درسناها وبشكل مكثف فِي الكلية. المهم انني فِي غضون فترة قصيرة من الزمن انهيت عقدة الرسوب لدى معظم الطلبة، ما اكسبني قبولا لديهم سيتعمق الى واحدة من امتن واجمل العلاقات بين طالب ومدرس، على مرأى ومسمع من زميلي المتميز غيظا الاستاذ القدير والمتصلب والذي اتحرج من ذكر اسمه احتراما لمكانته كمدرس! ومع الأَيَّام ولغاية اليوم ستتعزز صلتي بطلبتي متجلية فِي السنوات الست القادمة الَّتِي سبقت رحيلي للكويت. وما زلت على اتصال بالعديد من تلك النماذج الطيبة داخل وخارج العراق مستذكرا بأسى عميق من افقدتهم مطحنة الحروب ارواحهم الغضة، ممن يستحقون وبامتياز تسمية الاجيال الذهبية.

كادر تدريسي متميز

اما ملاك اعدادية العشار المركزية فلم يقل تميزا عن طلابها. اذكر من بينهم الاستاذ المرحوم حميد الجرص استاذ اللغة العربية والاستاذ لورنس ججو للغة الانكليزية والشاعر الراحل عبدالخالق محمود للغة العربية وغازي عبد الباقي لمادة اللغة الانكليزية وعبد الله محمد للفيزياء وعبد الصاحب عبود للرياضيات وياسين المويل والمرحوم هشام الشاوي للكيمياء وخالد البسام وعادل عمران لمادة الاحياء وعبد الباقي الجاسم لمادة الاقتصاد وناظم نعيم لمادة التاريخ والمرحوم عبد الله السلمان لمادة الجغرافيا وجورج شعيا شيخ مدرسي الرياضيات والمرحوم وفيق الحمداني للغة العربية وخالد اندريه للكيمياء ويعقوب عبد الرزاق للتربية البدنية وفهد محسن فرحان الاكاديمي بكلية الاداب للغة العربية اضافة الى الكوادر الادارية متمثلة في غازي الديراوي وعبد الكريم المزيدي والاستاذ فتحي ممن تعاقبوا على ادارة الاعدادية. وكذلك المرحوم الاستاذ ناصر الزبيدي وخالد البسام كمعاونين وآخرون لا تسعفني ذاكرتي في امر استذكارهم.وجوه تربوية قد لا تتكرر على ذلك النحو التراكمي. امد الله في اعمار الباقين واسبغ رحمته على الميتين.

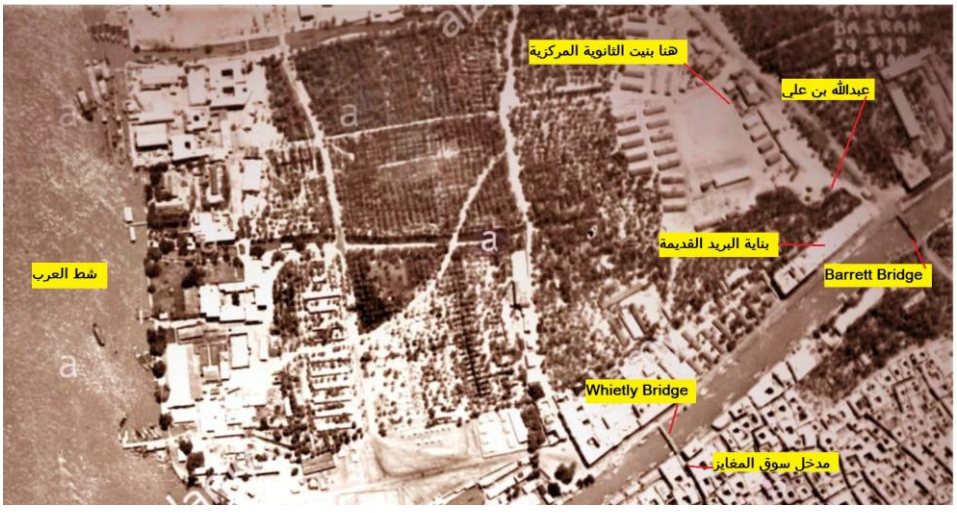

07/02/2018

الإعدادية المركزية للبنين
أسست سنة ١٩٢٥م

الفصل الرابع
سينمات البصرة

فيلم (كوفاديس) عرض عام ١٩١٨

عرفتْ البصرة بواكير العروض السينمائية الصامتة بالتزامن مع الاحتلال البريطاني الأول ابان الحرب العالمية الأولى.غير ان الافلام القليلة الَّتِي ربما تفرج عليها الجمهور البصري لم تكن تعرض فِي دور سينمائية مخصصة بل فِي الهواء الطلق عن طريق عربات ناقلة لآلات العرض وشاشات صغيرة المساحة او داخل صالات مخصصة لجنود الاحتلال البريطاني حيث كان تطلق عليها تسمية (السيناتوغراف).وفي ضوء هذه المعطيات فوجئت -وأنا اقلب أرشيفا اجنبيا للصور القديمة- بوجود مانشيت لفيلم اجنبي يحمل عنوان (كوفاديس Quo Vadis) مع بيان تاريخ التقاط الصورة الفوتوغرافية لذلك المانشيت: ١٩١٨ مع تحديد مدينة البصرة مكانا وفي سينما البصرة بالذات.بيد انه لم تكن فِي البصرة، فِي الفترة الَّتِي اعقبت انتهاء الحرب العالمية الأولى، دور سينما الا من الصنف المنوه عنه آنفا.وبعد بحث مضنٍ واستعانة بقدرات الشبكة العنكبوتية علمت ان المعروض كان فيلما ايطاليا اخرج عام ١٩١٣ اعتمد على رواية للكاتب البولندي (هنريك ساينكيوتايز) والذي صدر بطبعته الأولى من عام ١٨٩٥ وترجمت فيما بعد الى أكثر من خمسين لغة وهو العمل الذي أفضى بمؤلفه لنيل جائزة نوبل عام ١٩٠٥.

سيل من الكشوفات

واستنادا لصورة فوتوغرافية تصور ناد ليليا مخصصا لجنود الاحتلال البريطاني فِي الشعيبة علمت مؤخرا -من واقع المعلومات المضافة للصورة- بوجود صالة سينمائية كانت تعرض فيها مجموعة من الأفلام الصامتة كأفلام (شارلي شابلن) وغيرها حملت اسم البصرة. والأمر نفسه ينطبق على النوادي الَّتِي أنشأها الانكليز داخل مدينة البصرة لنفس الأهداف وكانت دور السينما صالات او ابنية ملحقة بالقنصلية البريطانية الَّتِي كان احد مقراتها فِي شارع (ابو الاسود) بوسط قصبة العشار، اضافة الى وجود مسرح اطلق عليه الأنكليز تسمية (مسرح الملكة ماري) عرض فيه عدد من الحفلات الموسيقية والأوبرات العالمية قبل ان يطاله سنة ١٩١٩ حريق هائل دمر محتوياته وقوض مبناه! وربما كانت هنالك عروض سينمية فِي دار للسينما مجاورة تدعى (سينما رويال)، ومع انتقال القنصلية البريطانية الى مكان اقرب لشط العرب جرى استحداث دار اخرى للسينما تدعى (سبلينيدد بالاس) والذي يبدو انها انتقلت فِي الموقع اللاحق بسينما الحمراء القديمة الشتوي وكانت مملوكة للادارة الانكليزية تحت اسم (سبلينيدد بالاس او قلعة الامتياز) وكان رأس مالها من بعض اغنياء الانكليز ورجل بصري هو حبيب الملاك. وعند خروج الانكليز من العراق اشترى حبيب الملاك الحصة الانكليزية وأصبحت السينما ملكه فرممها وافتتحت سنة بأسم سينما الحمراء القديمة الشتوي وذلك فِي عام ١٩٣٣، كما انني توصلت لمعرفة المعنى المقصود بكلمة كوفاديس فهي تعني باللاتينية: الى اين انت ذاهب؟ وقد تم اخراج ذلك الفيلم فِي زمن لم تكن كلمة (سينما) قد اطلقت بعد على مثل ذلك الصنف الجديد من رقائق الأفلام، بل نقرأ عبارة: (ذا ساينز فوتو دراما The Cines Photo Drama). وعدا منتج الفيلم (جورج كلاين)

فالمانشيت جاء خلوا من أسماء طاقم التمثيل ومن عمل على اخراجه. العبارة الوحيدة الَّتِي نقرؤها أسفل المانشيت الذي يمثل مشهد الحريق الذي افتعله (نيرون)، بحسب الروايات التاريخية، تقول: «نيرون يغني فيما روما تحترق!» كما هو بائن فِي المانشيت.لقد انتجت النسخة الاولى من الفيلم فِي ايطاليا على يد جورج كلاين واخراج غوازوني. وجرى اطلاق عرضه فِي شهر مارس ١٩١٣.

كما انني توصلت الى معلومة ذات اهمية وهي قيام جهة أخرى ايطالية ايضا؛ بإخراج الفيلم نفسه ليعرض فِي دور السينما الامريكية والعالمية وذلك سنة ١٩٢٤.غير ان ردة فعل النقاد والوسط الاعلامي كانت سلبية حيث اخذ على الفيلم وعلى كاتب السيناريو كونه باعثا على الملل ما افضى بالمخرج جورج جاكوبي الى العدول عن إخراج الافلام الملحمية متحولا الى الفيلم الموسيقي والكوميدي. كما ان الملل الذي اتسم به الفيلم لم يكن سببه كاتب السيناريو وحده بل يضاف أداء بطل الفيلم الى ذلك الانطباع الذي تولد لدى مستقبلي الفيلم.

احداث الرواية

في عام ١٩٥١ قامت شركة مترو غولدن ماير للاخراج السينمائي باخراج فيلم (كوفاديس) بنسخته الثالثة وكان من بطولة كل من روبرت تايلور، ديبورا كير، بيتر اوستينوف، ليو غين وأخرين. بلغت ميزانية الفيلم ما يقارب السبعة ملايين دولارا امريكا بينما تجاوزت ارباح الفيلم العشرين مليون دولار، ما انقذ الشركة من افلاسها الوشيك. والفيلم يعدُّ مزيجا من التناول الديني والملحمي المتعكز على المخيلة. يبدأ الفيلم بعودة ماركوس فينيسيوس من حروب بلاد الانجليز وبلاد الغال ليقع فِي غرام ليجيا الَّتِي تدين بالولاء للدين المسيحي الذي كان حينذاك لما يزل محظورا فِي بلاد الرومان. يبذل ماركوس قصارى جهده لكسب حب (ليجيا)

على الرغم من كونه وثنيا. كان نيرون امبراطورا لروما فِي ذلك الزمان وقد عرف عنه الطيش الذي تمثل فِي الشناعات الَّتِي راح يمارسها بحق مسيحيي روما اذ احرق العاصمة الرومانية ملقيا وزر الحريق على الاقلية المسيحية الَّتِي كانت تزداد عددا يوما فِي اثر يوم.حينذاك يشتد سخط نيرون على ليجيا واسرتها، فيزج بهم فِي السجن ومن ثم ينالون القصاص فِي حلبة اعدها الامبراطور للتفرج على اتباع الطائفة المسيحية فبعضهم يلقون مصارعهم تحت انياب الأسود وآخرون ينتظرون السلخ او الذبح. غير ان مستشار نيرون يحذره بأن أولئك الضحايا سيتم تخليدهم من لدن الشعب باعتبارهم شهداء! لكن نيرون لا ينصاع لمشورة وزيره فيعمد الى صلب ليجيا فِي الوقت الذي يأمر بإدخال ثورهائج كيما يمزق جسدها اربا.لكن حارس ليجيا يتصدى للثور ويفلح فِي ليّ عنقه، وهي المشاهد الَّتِي اثارت جمهور المشاهدين فيأبون تصديق حكاية نيرون بأن المسيحيين احرقوا روما، بينما تكون محصلة الصراع مع الثور ان تفقد ليجيا حياتها!

بين الدين والتاريخ

من المؤكد ان للسينما -كفن سابع- دورا محوريا فِي التأثير على جماهير المتفرجين فِي شتى أنحاء العالم، ايديولوجيا وفكريا، لاسيما بعد ان تحولت الى صناعة يخصص من خلالها المنتجون ميزانيات هائلة من اجل اخراج افلام اسطورية الأرباح. وهو ما سارت على هداه شركات ذات طابع عالمي مثل (بارامونت)، (فوكس للقرن العشرين) و(متروغولدن ماير) الَّتِي تبنت اخراج النسخة الثالثة من فيلم (كوفاديس) كواحد من مجموعة افلام ذات طابع ديني او ديني -تاريخي مثل فيلم (بن ـ هور) و(جولياث). ومع مقدم القرن الحادي والعشرين اخرجت افلام ذات طابع ديني او مختلط الأداء مثل (الام المسيح ٢٠٠٤)، (مملكة السماء ٢٠٠٥)

جاعلة من ٢٠١٤ عاما للفيلم الديني حيث جرئ عرض افلام مثل (نوح)، و(الخروج) وغيرهما.

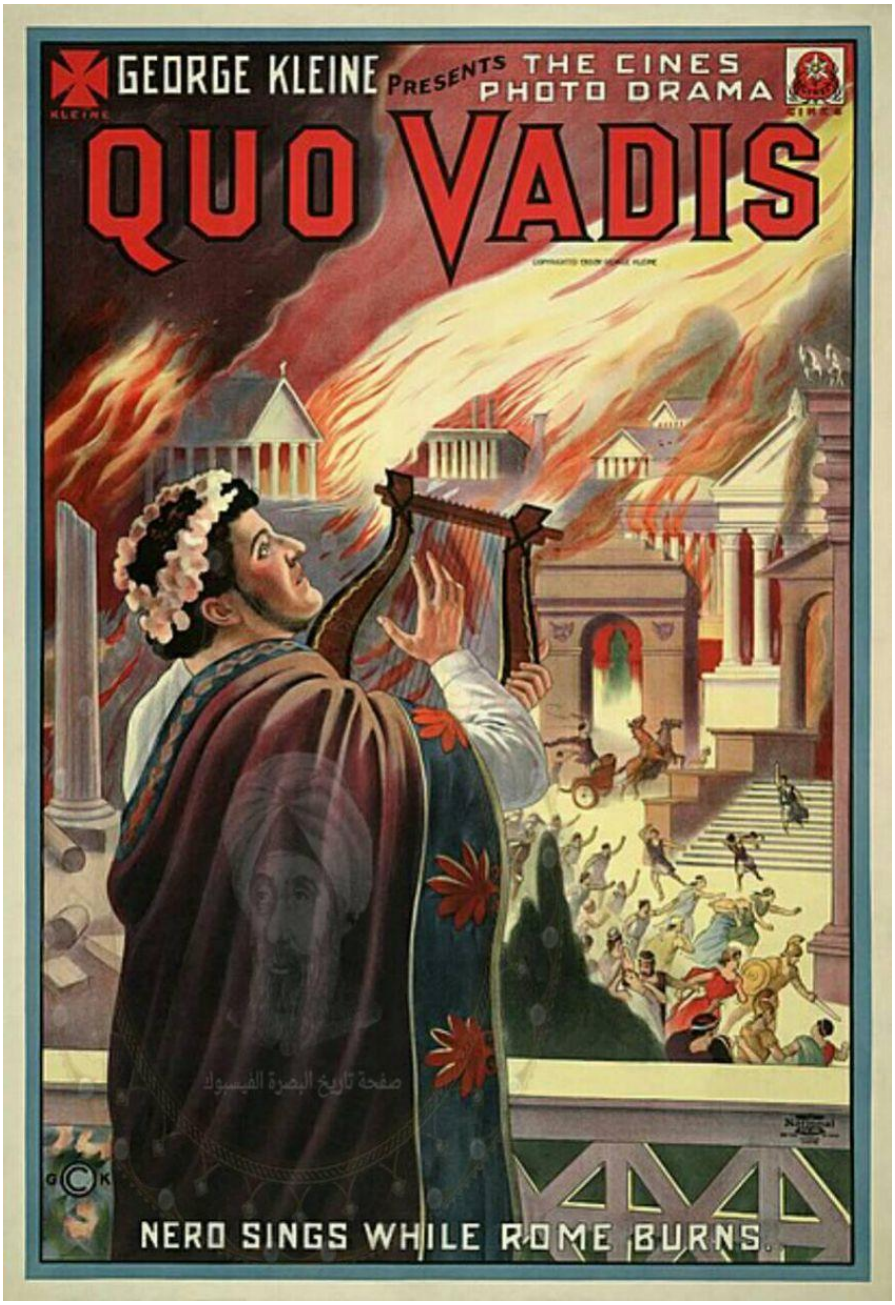

The New Gigantic

QUO VADIS

20,000 in the Cast

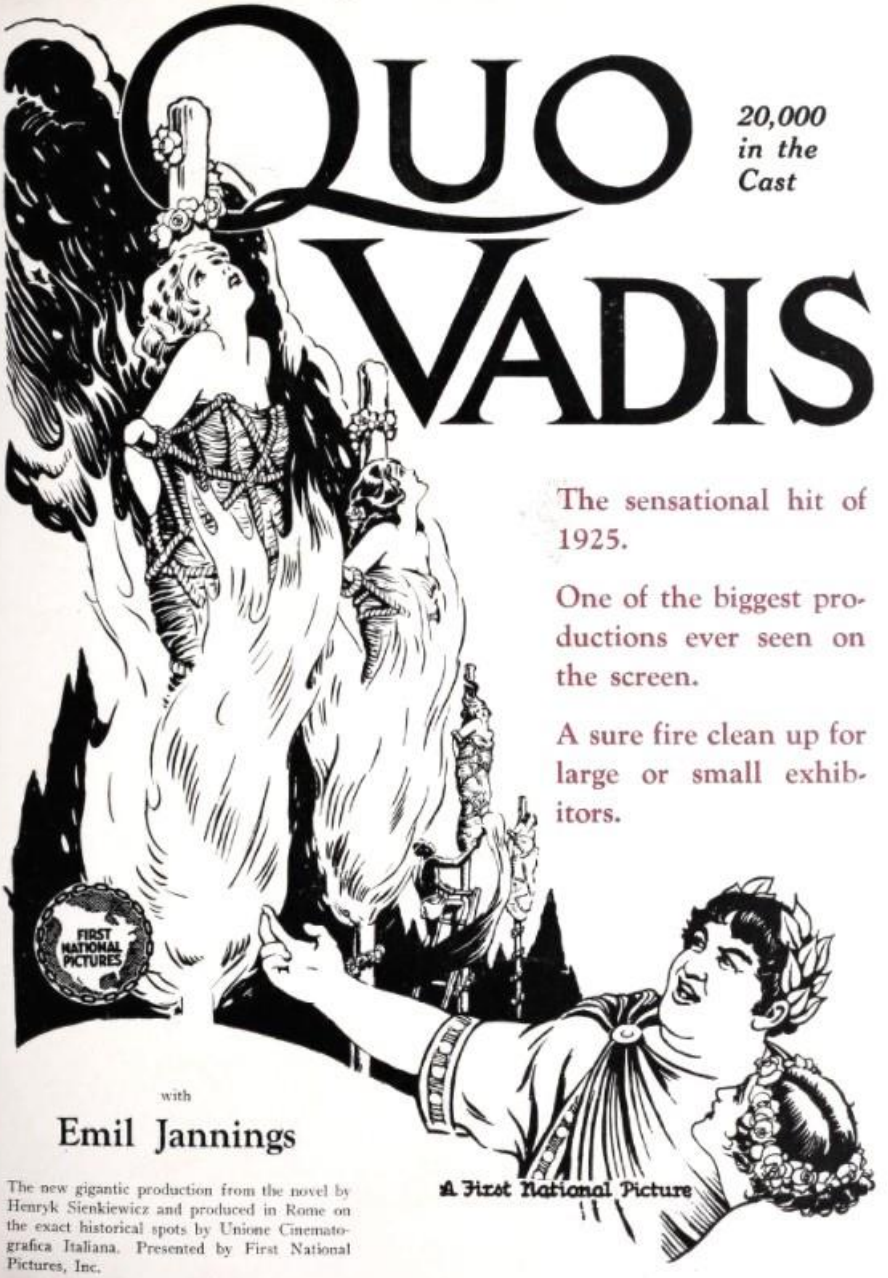

The sensational hit of 1925.

One of the biggest productions ever seen on the screen.

A sure fire clean up for large or small exhibitors.

with

Emil Jannings

A First National Picture

The new gigantic production from the novel by Henryk Sienkiewicz and produced in Rome on the exact historical spots by Unione Cinematografica Italiana. Presented by First National Pictures, Inc.

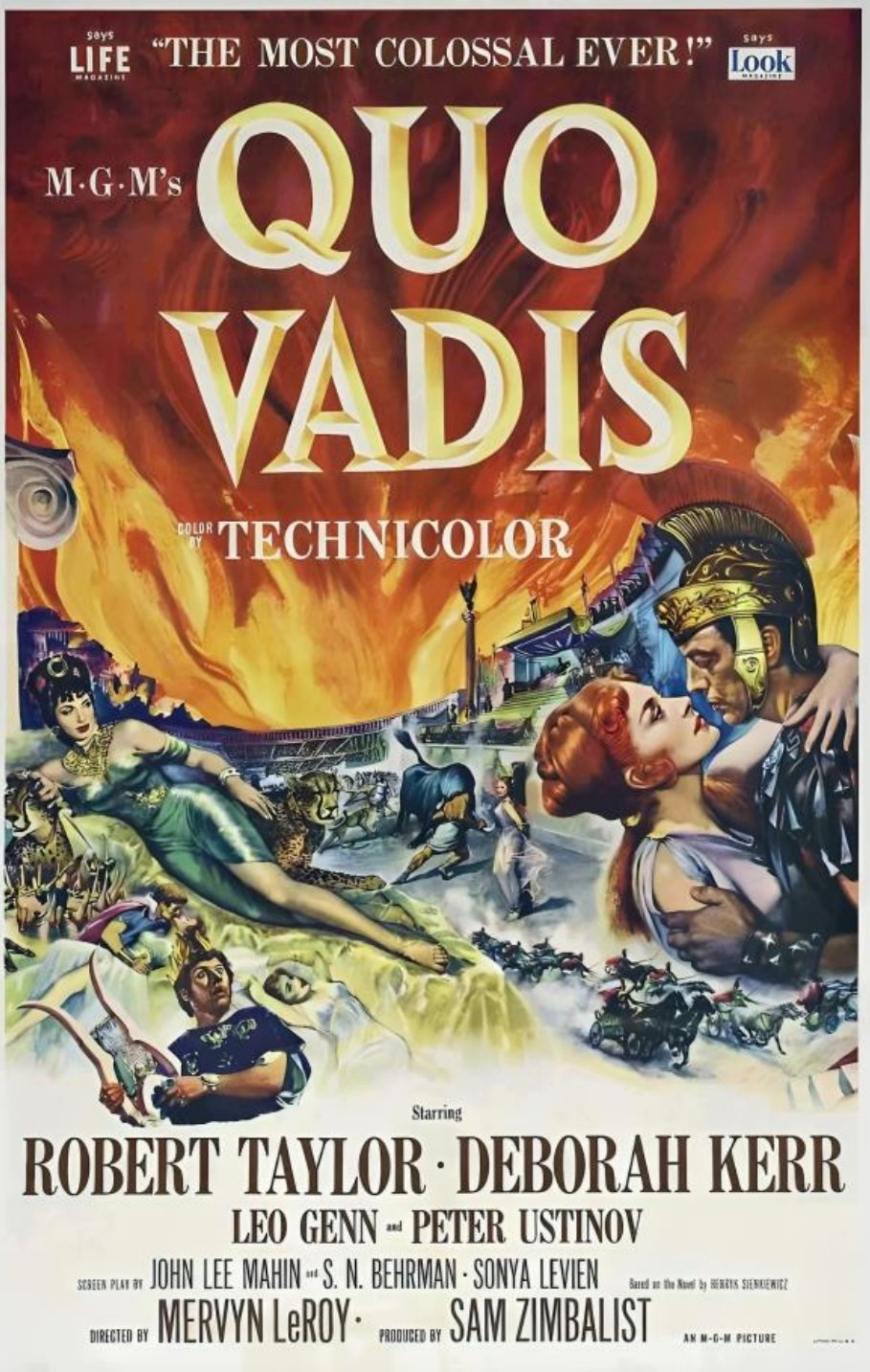
says LIFE MAGAZINE
"THE MOST COLOSSAL EVER!"
says Look MAGAZINE
M·G·M's
QUO VADIS
COLOR BY TECHNICOLOR
Starring
ROBERT TAYLOR · DEBORAH KERR
LEO GENN and PETER USTINOV
SCREEN PLAY BY JOHN LEE MAHIN and S. N. BEHRMAN · SONYA LEVIEN
Based on the Novel by HENRYK SIENKIEWICZ
DIRECTED BY MERVYN LeROY ·
PRODUCED BY SAM ZIMBALIST
AN M-G-M PICTURE

الفصل الخامس

شارع اكسفورد البصراوي

سياحة فِي خريطة بريطانية

قبل يومين نشرت خريطة بريطانية المصدر يبدو ان تاريخها التقريبي يعود الى فترة الاحتلال البريطاني الكامل ليس للبصرة فقط بل لبغداد العاصمة الَّتِي دخل من بوابتها فِي باب المعظم الجنرال البريطاني ستانلي مود سنة ١٩١٧. وبقدر تعلق الامر بالخريطة فإنها تغطي محلة الرباط الصغير شمالا (اقرأ ما هو مكتوب عليها باللغة الانكليزية). اما جنوبا فالخريطة تشمل ما أسمته بشارع (اكسفورد) المحصور بين جسر الخندق شمالا وجسر المتصرفية جنوبا. وهو الجسر الذي أطلق عليه الانكليز تسمية (باريت Barett) نسبة لأحد قادة الاحتلال الانكليزي وقتذاك. وتمتد الخريطة باتجاه ما يسمى حاليا بشارع الاستقلال حيث نقرأ عبارة (قرية الكزارة Gazarasi village) وهي التسمية الَّتِي بقيت تحمل الطابع التركي فِي التسميات ذلك لأن شارعي الاستقلال والكورنيش احتشدا قبل الاحتلال بسرايات الوجهاء العثمانيين والمعسكرات والمستودعات ذات الطابع اللوجستي والاداري.ويبدو ان الانكليز اضافوا اليها كلمة قرية لأن الكزارة المتداخلة مع منطقة البريهة كانت عبارة عن مجموعة من بساتين النخيل والانهر الصغيرة (الجداول)، والأمر نفسه ينطبق على (المناوي باشا) حيث نقرأ عبارة Mannawi Village) ـ قرية المناوي بحكم وجود عدد من بساتين النخيل -التي امكنني الاستدلال عليها من واقع سكني فِي حي المناوي- اضافة لعدد من الجداول المتفرعة من شط العرب بحكم التجاور.

ماذا نقرأ على الخريطة ايضا ؟

بالإمكان ان نقرأ تسميات ترجمت الى اللغة العربية مثل جسر (وايتيلي) نسبة الى شركة وايتيلي البريطانية الَّتِي اسهمت فِي الجهد الهندسي الذي رافق الحملة البريطانية واعقبها فِي آن معا. كما نقرأ تسمية جسر باريت او المتصرفية فيما بعد.وكذلك نقرأ التسمية الَّتِي استحدثها الانكليز للجسر المقام على نهير المناوي المندرس -والذي عشت شخصيا على ضفته الجنوبية- والذي يتجه على نحو افعواني ملتو جنوبا باتجاه منطقة (البنكية) القريبة من نهر الخورة. وايضا نقرأ بحروف صغيرة الحجم تسميات ذات طابع هندي مثل (طريق جيبور Jaipur Road) والتسمية هندية لاشك انها اطلقت على اسم احد القادة الهنود ومثلما يتضح من الخارطة فهو يخترق محلة الكزارة ويعد امتدادا لشارع الاستقلال وهي آخر التسميات الَّتِي رسخت من بعد اكثر من تغيير. ومثلما نلاحظ حضور عدد من الكلمات المدرجة على الخريطة باللغة الانكليزية، فاننا نقرأ بعض التحديدات مثل طريق الساحل Strand Road) وهو الطريق الذي يمتد للبصرة القديمة وعبره جيء بأسرى القوات العثمانية الى سجن القشلة الَّتِي ستصبح فِي المستقبل علاوي لبيع الخضار بالجملة بعد ازالة مبنى القشلة تماما!

واضافة الى ذلك فاننا نقرأ على نهر العشار عبارة (محطة الطاقة المركزية Central Power Station) والتي ستسمى بالباور هاوس فِي قادم سنوات حكم الملك فيصل الأول.كما نشاهد موقع البريد القديم المطل على نهر العشار وبالضبط على طريق الساحل القادم ابتداء من الموقع الراهن تمثال السياب باتجاه البصرة القديمة غربا.

ونعود لشارع اوكسفورد العتيد فأن تسميته جاءت تيمنا بمدينة اوكسفورد الانكليزية والتي تضم واحدة من اعرق الجامعات البريطانية الا وهي جامعة اوكسفورد الَّتِي اسهمت فِي تخريج الاف الرموز الثقافية والعلمية والاقتصادية من شتىٰ بلدان العالم.لكن شتان مابين اوكسفورد الانكليزية واكسفوردنا البصري الذي يعد تاريخا عبرت من خلاله ملايين البطون اللاهثة وراء لقمة العيش المتوزعة علىٰ اسواق العشار والمقيمة فِي اطلال محلة البجاري العريقة والمندثرة العمارة بحكم الزمن والحافلة بالمطاعم والمقاهي والمطابع ومصلحي الساعات ومحلات بيع التبغ فِي الخمسينيات والستينيات والفنادق المتصدعة الجدران ومحلات الخياطة والمكتبات الدينية والأدبية ناهيك عن محلات بيع الملابس والأحذية والملابس باتجاه سوق المغايز او سوق الهنود الذي امسىٰ بلا هنود!

عُرف شارع اكسفورد البصري بمحل (زرزور) بائع الحب والكرزات والذي افتتحه اثر فوزه بإحدىٰ بطاقات اليانصيب. وعلىٰ مقربة من الشارع ندلف الىٰ ساحة ام البروم الشهيرة الَّتِي كانت مقبرة لفقراء المدينة فيما مضىٰ من السنين.كما ان محلة البجاري تطل من جهة الشرق علىٰ شارع اوكسفورد بأزقتها المتعرجة تحت شرفات شناشيل متهاوية وبالقرب من مطابع تعمل بالجملة والقطاعي ومحلات لتجليد الكتب ومطاعم صغيرة تبيع الفلافل والكبة.اما غربا فتحاذي خطانا سينما الحمراء القديمة الشتوي الَّتِي سميت فيما بعد بدار سينما (الكرنك) والتي ازيلت هي بدورها وعلىٰ مراحل مثلما نمرّ بمركز شرطة البلدة الذي تجاوره مديرية (الهلال الاحمر) ومن ثم ينعطف الشارع مع انعطافة مبنىٰ المتصرفية الحكومي.كما لاننسىٰ محل احذية باتا المجاور لمحل زرزور ابو الحب والذي توقف عن بيع الكرزات من بعد وفاة صاحبه.ولا ننسىٰ مقهىٰ (حبش) المطل علىٰ نهر العشار شرقي جسر

باريت او المتصـرفية سابقا.مثلما لا ننسى مبنى الاعدادية المركزية ومقام (عبد الله بن علي) قبالة ساحة الفراهيدي الَّتِي يجهل نصف المارة بالساحة من هو الفراهيدي مثلما يجهل النصف الاخر انه فِي يوم ما كان الشارع المحصور بين نهر الخندق والعشار كان يسمى بشارع اكسفورد!

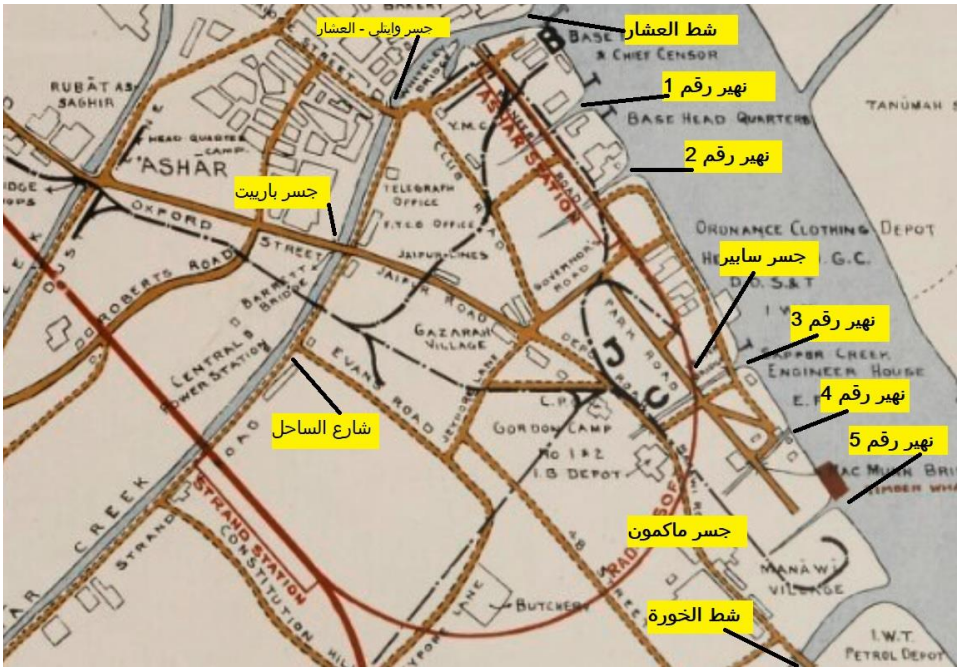
شط العشار
حسر وايلى - العشار
نهير رقم 1
نهير رقم 2
جسر باريت
جسر سابير
نهير رقم 3
نهير رقم 4
نهير رقم 5
شارع الساحل
جسر ماكمون
شط الخورة
'ASHAR
RUBAT AS SAGHIR
BASE HEAD QUARTERS
ORDNANCE CLOTHING DEPOT
TELEGRAPH OFFICE
GAZARAH VILLAGE
GORDON CAMP
I.B DEPOT
CENTRAL POWER STATION
STRAND STATION
CONSTITUTION
BUTCHERY
MANAWI VILLAGE
I.W.T. PETROL DEPOT
OXFORD STREET
ROBERTS ROAD
EVANS ROAD
PARK ROAD
JAIL ROAD
CREEK

الفصل السادس
الشـركات الملاحية الأجنبية فِي بصـرة الأمس

مع قدوم القرن العشـرينات اشتدت المنافسة التجاريـة بـين الـدول الكـبرىٰ بريطانيا والبرتغال وهولندا من جانب وبين الدولة العثمانية من جانب آخر، فِي وقت ازدهر ميناء البصـرة التجاري. ثم ما لبث الحراك التجاري ان شهد طفرة انفجاريـة متزامنة مع اضمحلال الامبراطورية العثمانية ١٩٠٨-١٩٢٤ والاحتلال البريطـاني للعراق بدءاً بالبصـرة. ذلك الواقـع انعكـس بشـكل ايجـابي عـلىٰ الواقـع التجـاري والاقتصادي للمدينة حيث افتتحت مكاتب ذات طابع تجاري مثـل (شـــركة الهنـد الشـرقية) وغيرها اضافة للقنصليات وازدهرت حركة الاستيراد والتصدير فِي تلـك السنوات. وفيما يلي ذكر لعدد من الشـركات المحيطيـة والوكـالات التجاريـة الَّتِـي اتخذت لها مواقع فِي كل من البصـرة القديمة والعشار الناهض:

شـركة كري مكنزي

وكان اسمها التجاري (شـركة الهند البريطانية للملاحة البخارية)، كما سميت ايضا بـــ (بيت الوكيل). انتشـرت فروعها فِي سائر موانئ الخليـج الأخـرىٰ وشـبه القارة الهندية اذ كانت لها مكاتب فِي بومباي وكراجي ومسقط وبندر عبـاس ولنكـة والبحرين وابو شهر والمحمرة. وقد سـيرت هذه الشـركة بـواخر كبـيرة بـين الهنـد والبصـرة من خلال رحلات بحرية اسبوعية ومن لندن الىٰ البصـرة، عدا عن نقلهـا البريـد الهنـدي الىٰ البصـــرة، كـما تـاجرت بمختلـف السـلع الـواردة والصـادرة، وتخصصت احيانا فِي تصدير الحبوب والخيول من ميناء البصـــرة الىٰ الهنـد. وكانـت

الباخرة (كبتنه) واحدة من اشهر بواخرها، اضافة الى (بنيه) و(سملا) و(بغداد) و (كيلو) والباخرة السريعة الجريان (رانوك) و(جاوه) و (فالتو) وغيرها.

شركة الخليج للملاحة البخارية

وكان اسمها فِي البصرة (داربي-اندروز) وتوزعت فروعها على بعض موانئ الخليج والبحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط.. ففي ميناء (ابو شهر) مثلتها (شركة دكسن) وفي لنكه وبندر عباس مثلتها (شركة بدر) وفي عدن (شركة عدن) وفي جدة (حسن بغداد) وفي مينائي السويس وبورسعيد (سابليون)، وشيد فرعها فِي البصرة بشكل مكتب واسع تصدر نهر العشار. وقد سيرت خطوطا للبواخر بين البصرة وموانئ الخليج والبحر الاحمر والبحر المتوسط ولندن بمعدل باخرة واحدة فِي كل شهر. كما خصصت بعض بواخرها لنقل الحجاج من البصرة الى جدة، وتميزت معظم بواخرها بالسعة خاصة تلك الَّتِي كانت تعمل بين لندن والبصرة. ولكن فِي ١٨ تشرين الأول من سنة ١٨٩٧ اعلن قنصل البصرة البريطاني نبأ افلاس هذه الشركة والتعهد بتصفية ديونها.

شركة بومباي والخليج للملاحة التجارية

كان وكيلها فِي البصرة اغا محمد جواد من بلاد فارس، ومثلها فِي موانئ الخليج والهند فريق من التجار الفرس والهنود منهم الحاج (حاجي محمد اكبر) وحاجي ابو القاسم، واغا عبد الحسين فِي بومباي. وكانت من أشهر البواخر الَّتِي سيرتها هذه الشركة بين بومباي والبصرة لنقل الصناعات الهندية والمنتجات الزراعية العراقية بمعدل باخرة لكل اسبوعين هي: الباخرة اسكلبيتر، والباخرة(حسيني) والباخرة (موبيل) والباخرة (هنري بالكو) والباخرة (كالدا) والباخرة (كنغ ووتر). وكانت حمولات تلك البواخر تتراوح بين الألفي طن

والخمسمائة طن.

الشركات المتعددة الجنسيات

من الشركات المتعددة الجنسية شركة هوتز وولده وكانت شركة هولندية عملت فِي العراق عام ١٨٧٨ وهي الَّتِي حاولت الحصول من الدولة العثمانية على امتياز لمد سكة حديد من بغداد الى الجبال الايرانية شرقا وكذلك بين بغداد وكربلاء كمقدمة لربط العراق بالبحر المتوسط. وفي عام ١٨٨٤ حصلت على امتياز التحري عن النفط فِي إيران عن طريق فرعها فِي ابو شهر. وأصبحت عام ١٨٩٨ شركة بريطانية هولندية مشتركة وصارت تسمى هوتز وهاملتون. وعملت الباخرة (نستل) بين البصرة والموانئ الاوربية لنقل المنتجات العراقية الى تلك الموانئ واستيراد السلع الاوربية الى البصرة.اما خط بريمن-البصرة الألماني فقد بدأ رحلاته عام ١٩٨٥ من مديناء بريمن الالماني ووصلت منه باخرتان الى البصرة ولكنه انحل فِي السنة اللاحقة.وتأسست الشركة الروسية للملاحة البخارية عام ١٩٠١ وكانت تعمل بالتجارة مع الخليج العربي، وتعهدت الشركة الروسية بمساعدة الخط الملاحي ليتسنى له تسيير ثلاث بواخر فِي العام من اوديسا الى البصرة على ان تتوقف فِي طريقها فِي موانئ الشرق الادنى والبحر الاحمر والخليج العربي وازداد عدد بواخرها القادمة الى البصرة عام ١٩١١ الى خمس بواخر فِي السنة، اما شركة (مسينيه) الفرنسية فمثلتها فِي البصرة شركة اصفر الَّتِي تاجرت ايضا فِي تصدير الأمعاء الى الخارج لكن بواخر هذه الشركة لم تكن منظمة فِي رحلاتها. وهنالك شركة (ويبر) السويسرية الَّتِي كنت تعمل بشكل خاص فِي ميدان تصدير الصوف منذ ستينات القرن التاسع عشر. كما ان (الشركة الانكليزية العربية والايرانية للبواخر) قد بدأت اعمالها عام ١٨٩٣ عندما حصلت من الدولة

العثمانية على امتياز بتأسيس مستودع لخزن الفحم في البصرة. وقد نص الامتياز على اعفاء الشركة من الرسوم المفروضة على وارداتها من الفحم شريطة استخدامه لبواخرها العاملة بين البصرة وبومباي ولندن، الا انها أخذت تبيع صفقات الفحم المستورد الى بواخر الشركات العاملة في البصرة، وحين اطلعت السلطات العثمانية على ذلك التحايل، فرضت رسوما جمركية مضاعفة على فحمها المستورد، وبعد مفاوضات طويلة وافقت السلطات العثمانية على فرض الرسوم المقررة على فحمها بواقع ٨٪ وبذلك خسرت امتيازها السابق.

خط كلان للملاحة التجارية

بدأ حياته التجارية بين لندن والبصرة في آب ١٨٩٤ لنقل السلع الاوربية الصناعية الى البصرة مقابل نقل التمور والمنتجات الزراعية الأخرى من العراق الى لندن، وقد اهم هذا الخط الجديد في تخفيض اجور الشحن الى منطقة الخليج من ٣٠ شلنا للطن الواحد الى ١٨ شلنا فقط.

شركة الملاحة البخارية البريطانية والمستعمرات

دخلت ميدان المنافسة عام ١٨٩٥ نظرا لاتساع تجارة البصرة والخليج ووصلت اولى بواخرها الى ميناء البصرة في آذار ١٨٩٥، ثم تابعت بقية بواخرها في فترات منتظمة.

خط بريمن ـ البصرة الألماني

بدأ رحلاته عام ١٨٩٥ من بريمن بألمانيا ووصلت منه باخرتان الى البصرة، ولكنه انحلّ في السنة اللاحقة.

شـركة ماريتايمز

وكانت تابعة لفرنسا، وأسست خطا ملاحيا بين بومبـاي والبصـرة، وكانـت مرتبطة بنقل بريد بومباي الى مرسـيليا.

الشـركة الروسـية للملاحة البخارية

تأسست عام ١٩٠١ للتجارة مع الخلـيج العـربي والبصـرة بمسـاعدة الخـط الملاحي ليتسنى له تسـيير ثلاث بـواخر فِي العـام مـن اوديسـا الى البصـرة عـلى ان تتوقف فِي طريقها فِي موانئ الشـرق الأدنـى والبحـر الاحمـر والخلـيج وازداد عـدد بواخرها القادمة الى البصـرة عام ١٩١١ الى خمس بواخر فِي السنة.

شـركة بوكتال اخوان

سـيرت هذه الشـركة بواخر محيطية ضخمة مباشـرة من لندن بمعـدل بـاخرة واحدة كل شهرين، وكانت بواخرها تضطر الى تفريغ جزء من حمولتها قبـل دخـول او مغادرة شط العرب بسبب الحاجز الغريني الخارجي جنوبي الفاو، لتقـوم بمهمـة نقل السلع المفرغة زوارق صغيرة تظل تمخر عبـاب شـط العـرب ذهابـا وايابـا بـين الحاجز الخارجي وبين ميناء البصـرة لأداء مهمة الشحن والتفريغ.وقد دمجـت هـذه الشـركة بشـركة اخرى تدعى (اليرمانز) الَّتِي كانت تدير خطا ملاحيا يدعى (هول) وسميت الشـركة الجديدة باسم اليرمان وبوكال للبواخر المحدودة.

خط غرب هارت ليبول

لقد باشـرت بواخر هذه الشـركة بالعمل بين لندن والبصـرة عندما حصـلت على امتياز لبناء مستودع للفحم فِي ميناء البصـرة عـلى اسـاس اسـتهلاكه لبواخرهـا الخاصة ولكنها اخذت تستورد كميات كبيرة من الفحم لتبيعه على البواخر الاخرى الَّتِي كانت تتاجر مع البصـرة، وقد علمت السلطات العثمانية بذلك وبادرت بفرض

رسوم كمركية اضافية على فحمها المستورد.

شركة ستريك للملاحة

امتلكت البواخر المحيطية الكبيرة والتي كانت تضطر لتخفيف حمولتها قرب الحاجز الغريني في رأس الخليج العربي قبل دخول شط العرب، وقد اندمجت عام ١٩١١ بشركة لويد سكوت وكيلة شركة النفط الأنكلو-ايرانية في المحمرة وصارت تسمى شركة ستريك-سكوت.

خط عامبورغ-امريكا للملاحة

تأسس هذا الخط الملاحي الالماني في البصرة عام ١٩٠٦ ومثله فيها (روبرت وينكهاوس). وصلت اربع من بواخره خلال الفترة بين ايلول كانون الأول ١٩٠٦، امتلك عام ١٩١٣ الزورق البخاري (بايونير) الذي كان يعمل تارة في نهر الكارون واخرى في شط العرب بين الحاجز الخارجي والبصرة في عملية تفريغ وشحن البواخر المحيطية العائدة للشركة والتي لا تستطيع اجتياز الحاجز الغريني. وقيل انه كان يتلقى المساعدة المالية من الحكومة الالمانية، واشهر بواخره العاملة بين الموانئ الاوربية والبصرة كانت.. كانديا، وسيليا وسافويا وهنغاريا وآيشوريا.

الشركة العثمانية الفارسية للشحن

تأسست عام ١٩٠٨ برأسمال مشترك عراقي وفارسي وذلك للتجارة والملاحة بين البصرة وساحل الاحساء والبحرين وموانئ صغيرة اخرى في الخليج، وامتلكت ثلاث بواخر صغيرة وزوارق كانت حمولتها الاجمالية ١٢٨٤ طن تنقل بواسطتها منتجات البصرة الزراعية وبخاصة التمور الى موانئ الخليج المختلفة.

شـركة يونانية لتجارة التصدير

استأجرت هذه الشـركة عـام ١٩٠٦ احـدى البـواخر الالمانيـة المسـماة (هانـا منزل) واستدعتها فارغة الى البصـرة لتشحنها بالمنتجات الزراعية وخاصة التمور.

خط البصـرة المحمرة للشحن

شـركة محلية امتلكت بـواخر صـغيرة لتقـوم بـرحلات بـين مينـائي المحمـرة والبصـرة لنقل السلع والمسافرين.

شـركة البواخر العربية المحدودة

تأسست عام ١٩١١ برأسمال مقداره ٦٦٦٦٦ باون استرليني عـلى ان تعمـل بواخرها تحت العلم البريطاني، واشترت اربع بواخر لتشغيلها بين البصـرة ومـوانئ الخليج وبومباي لنقل المنتجات الزراعية والمواد الأولية العراقية الى المصـانع الهنديـة واستيراد السلع الصناعية من الهند.

شـركة اغا جعفر للملاحة النهرية (شـركة فارسـية)

بدأت هذه الشـركة فِي ممارسة نشاطها الملاحي النهري منذ العقـد الثـاني مـن القرن العشـرين عندما اشترت ثلاث بواخر ووضـعتها تحـت الخدمـة النهريـة بـين البصـرة وبغداد بعد تزايـد التجـارة الخارجيـة العراقيـة وشـروع الدولـة العثمانيـة باستيراد معدات سكة حديد بغداد.

الشـركة الألمانية لنقل معدات مشـروع سكة حديد بغداد

امتلكت هذه الشـركة عددا من اللنشات البخارية وهـي شـيرين وشـيطان وشحرور وشهاب وسمانا، حمولة كل زورق منها ٣٥ طنا، كـما امتلكـت ١٨ قـاطرة سحب (دوبة) لنقل قضـبان سـكة حديـد بغـداد مـن البصـرة الى بغـداد. وكانـت

اللنشات ترفع العلم العثماني أثناء ملاحتها فِي المياه الاقليمية العراقية، ولأول مرة تم السماح لشركة اجنبية غير لنج للصعود فِي شط العرب باتجاه نهر دجلة الى بغداد.

شركة اندروير

وكانت معظم بواخرها مستأجرة وتقوم بمهام تصدير المنتجات المحلية الى عموم الموانئ الأوربية.

شركة الحاج علي سلطان شوشتري (شركة هندية)

تأسست هذه الشركة عام ١٩١٣ وعملت بواخرها بين بومباي وموانئ الخليج كما خصصت عددا من الرحلات الى جدة فِي موسم الحج. وصلت باخرتها الاولى (سردار) الى ميناء البصرة فِي ١٤ كانون الاول عام ١٩١٣ ثم تتابعت البواخر الاخرى وهي تنقل المنتجات الهندية الى موانئ الخليج والبصرة مقابل نقلها للحبوب والتمور العراقية الى موانئ الخليج وبومباي.

اهلا ايتها المراكب.. وداعا ايتها المراكب!

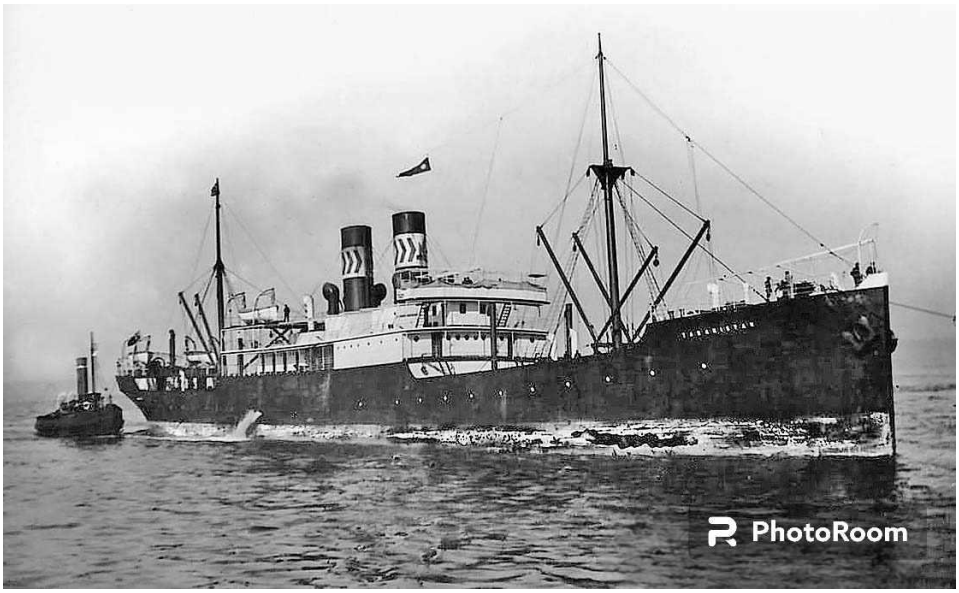

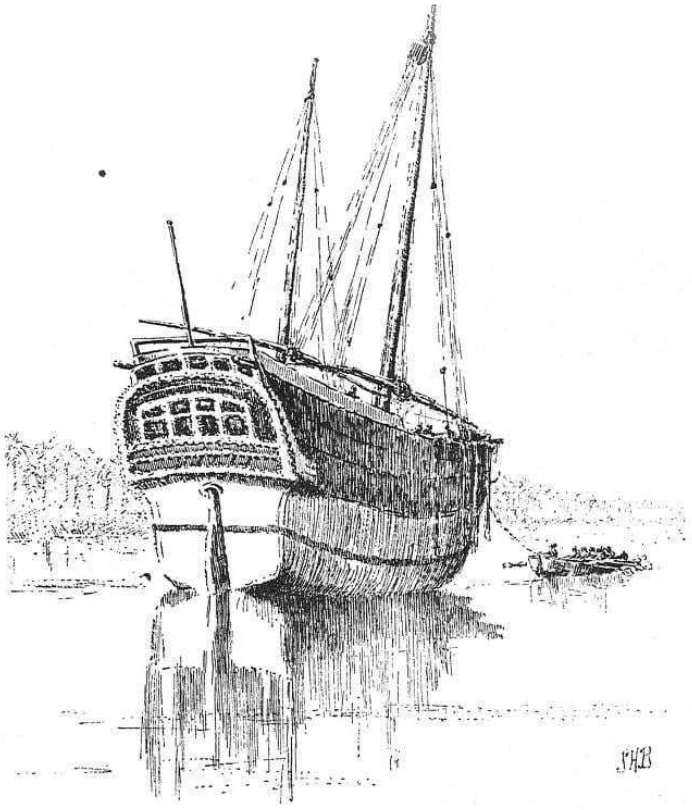

XIV. A 'baghalah' in the Shatt al Arab

From a drawing by S. H. Balfour

القسم الثاني

02

استضافات

من بين عدد كبير من اسهامات اقلام محلية تواصلت وما زالت تتواصل مع صفحة (ذاكرة البصرة) الَّتِي اخذت على تحريرها ضمن جريدة (صباح البصرة)، اخترت هذه المقالات الَّتِي اتخذت من البصرة وضواحيها مادة للحفر والتوثيق والتحليل، آملين ان تنير المزيد من الاركان المعتمة فِي التاريخين القريب والبعيد للبصرة الفيحاء.

الفصل الأول

١. قصر البلجانية فِي ابي الخصيب

حسين العطية

كانت جزيرة البلجانية من جنان الدنيا لموقعها الأخاذ على شط العرب واعتدال مناخها فهي أبرد من أبي الخصيب بعدة درجات مئوية فِي الصيف بفعل نسيم الشط البارد. تحدّ ساحة الشط من الشمال حديقة غناء بفواكه الرمان والعنب والخوخ وتطل على الساحة بأزهار الياسمين الأحمر والأبيض والرازقي.على تلك الجزيرة يقع القصر الفاره لصالح بيك العبد الواحد والذي دمرته بل طمست معالمه الحرب العراقية الايرانية!

كان القصر يقع فِي الجهة الشرقية (الشرگ) لقرية البلجانية على شط العرب. البلجانية او (البليانية) باللهجة الخصيباوية هي إحدى القرى التابعة إداريا إلى قضاء أبي الخصيب وتقع فِي إحدى جزر شط العرب ذات المناظر الطبيعية الخلابة والغنية ببساتين النخيل والفواكه ومختلف أنواع الطيور والأسماك وتبلغ مساحتها حوالي ١٠٠٠ دونم كان لصالح بيك العبد الواحد ٢٧٠ دونم منها. ورد اسمها فِي كتاب لغة العرب للأب انستاس ماري الكرملي بأن كلمة (بلجان) وهي القرية الَّتِي تقع عبر نهر الجبلة منها أصلها (بلد الجان) وحرفت إلى (بلجان)، أو بليان حسب اللهجة الخصيبية الدارجة وكلمة (البلجانية) أو البليانية فهي مؤنث(بلجان)

اما قصر البلجانية فقد شيده المرحوم صالح بيك العبد الواحد فِي بداية القرن الماضي حيث نقلت مواد البناء بواسطة الزوارق الكبيرة (المهيلات) قبل بناء جسر البلجانية سنة ١٩٥٢ علىٰ نهر(الجبلة)المتفرع من شط العرب والذي يحيط بالبلجانية غربا. وعائلة آل عبد الواحد من العوائل الَّتِي انحدرت من نجد وسكنت البصرة وأبي الخصيب واشتغلت بالتجارة وبخاصة تجارة التمور. وكانت عائلة ثرية امتلكت الأراضي الزراعية الواسعة وأشادت العديد من البيوت الفخمة فِي أبي الخصيب والبصرة القديمة والعشار، علما ان (الصالحية) فِي قضاء شط العرب أخذت تسميتها من صالح بيك ومعظم أراضيها من املاكه. وقد ترأس الوجيه صالح بيك بلدية البصرة أوائل القرن العشرين وكان عضوا فِي المجلس التأسيسي للادارة المحلية فِي البصرة. ولقد أتخذ من قصره فِي قرية البلجانية علىٰ شط العرب مقرا لسكنه.

موقع ساحر

كانت جزيرة البلجانية من جنان الدنيا لموقعها الأخاذ علىٰ شط العرب واعتدال مناخها فهي أبرد من أبي الخصيب بعدة درجات مئوية فِي الصيف بفعل نسيم الشط البارد وغابات النخيل الممتدة علىٰ مد البصر وماؤها أعذب لقربها من مصب الكارون كما ان البيك قد جهزها بمكائن الكهرباء والسقي وهي مكتفية ذاتيا من الحبوب والفواكه والخضروات ومنتجات الحليب بالأبقار الَّتِي تربىٰ هناك. كان لا يأكل إلا الطازج من الفواكه والخضروات واللحوم لذلك عمر إلىٰ ما بعد التسعين عاما. كما كانت حدائق البلجانية غناء بورود الياسمين الشامي والرازقي والجوري الَّتِي غرست فِي حدائقها. أعتاد البيك المبيت فِي البلجانية حيث الجو الرائع والذهاب صباحا بسيارته إلىٰ بيته فِي ابي الخصيب لتوصيل الخضروات والدجاج

المنتج فِي البلجانية لإعداده لغدائه كما كان يذهب احيانا إلى بيته الآخر فِي البصرة لمتابعة اعماله هناك والتي تتعلق بتجارة التمور المنتجة من بساتينه ثم يعود إلى أبي الخصيب لتناول الغداء والقيلولة وقبل المغرب يعود إلى مقره الجميل فِي قصر البلجانية.

الوصي عبد الاله ضيفا

يتكون القصر من طابق واحد ذي جدران عالية وقسمين رئيسيين هما الديوان والحرم. بين الديوان والحرم توجد فسحة مستطيلة مرصوفة بالطابوق الفرشي وفي هذهِ الفسحة أقيمت وليمة فِي قصر صالح بيك العبد الواحد سنة ١٩٤٧ احتفاء بالأمير عبد الإله. وحضر الوصي وبقية الضيوف على ظهر اليخت عالية الذي كان راسيا فِي المعقل امام مديرية ميناء المعقل. وقد استقبل استقبالا حافلا بواسطة الزوارق الصغيرة الَّتِي كانت محاذية لجزيرة البلجانية. ومن ضمن الشخصيات والوجهاء الذين كانوا يرافقون الوصي كل من الشيخ عبد القادر باش أعيان العباسي واللواء الجراح الدكتور رشاد العبد الواحد والنائب محمد سعيد آل عبد الواحد والحاج ياسين آلعبد الواحد وغيرهم وتم التقاط الصور التذكارية بتلك المناسبة. وقبل الوليمة بأيَّام اتخذت الاستعدادات اللازمة لهذهِ المناسبة المهمة فتمت صيانة جدران وأبواب وشبابيك وغرف الديوان وتجديد طلائها وتلميع يدات الأبواب (بالوارنيش) وقد استدعي لهذا الغرض الأسطى يعقوب (ابو صحيِّب) وهو من أهالي ابي الخصيب وكان عند انتهاء عمله فِي النهار يتفرغ بعد الغروب لعمل القهوة فِي غرفة (الگهوه جاغ) وأخرجت المناضد الفخمة الثلاث وهي من خشب الصاج من داخل قاعة الديوان إلى الفسحة المجاورة وغطيت بالشراشف البيضاء لتكون الوليمة فِي الهواء الطلق والجو المشمس لأن الدعوة

كانت فِي بداية الشتاء.

جولة فِي انحاء القصر

يرتفع الديوان عن مستوى أرض بقية القصر ببضع درجات إلى الباب الرئيس وعند دخولك يلاقيك ممر يقع إلى اليمين مكان يوجد به مرفَع خشب يسند حبا فخاريا للماء تليه دكات السلم الذي يوصل إلى سطح الديوان وإلى اليسار حمام ومرفق شرقي ينتهي الممر بقاعة كبيرة مستطيلة بأربع نوافذ تطل اثنتان منها على جهة شط العرب ونافذتان مع باب يفضي- إلى طارمة الكاشي. ويوجد فِي هذهِ القاعة ثلاث مناضد كبيرة ومستطيلة من خشب الصاج وحولها كراسي خشب صاج منتظمة على طول وعرض جدران القاعة. كما تطل على قاعة الديوان غرفتان مؤثثتان تحتوي كل منهما على موقد جداري على الطراز الانكليزي القديم فيه أنبوب اسطواني يتجه إلى الأعلى لخروج الدخان وشباكين يطلان على خارج الديوان. اما ساحة الشط فتقع شرق الديوان وتطل على شط العرب محاطة بسياج حديدي(محجر) مزخرف ومطلي باللون الأخضر- الفاتح وهي على شكل مربع مرصوفة بالطابوق الفرشي تحيط بها ستة أعمدة مصابيح كهربائية ومفتوح طرفها الجنوبي الشرقي على (مسناية الديوان). تحد ساحة الشط من الشمال حديقة غناء بفواكه الرمان والعنب والخوخ وتطل على الساحة بأزهار الياسمين الأحمر والأبيض والرازقي وإلى الجنوب من الساحة حديقة مكتظة باشجار البرتقال وتفصلها عن (بنگلة المكينة Machie Bungalow). كذلك توجد حديقة مربعة صغيرة فِي ساحة الشط قريبة من جزء السياج المطل على الشط زرعت بالورد الجوري بألوانه الأحمر والوردي والأبيض.وكثيرا ما كان ركاب الزوارق الذين يتنزهون فِي شط العرب ينزلون منها إلى ساحة الشط للتمتع بمناظر الحدائق والتقاط الصور

التذكارية. وكان من عادة البيك أن يجتمع بأهالي الديرة على ساحة الشط فِي ليالي الصيف للسمر وللاستماع إلى آخر الأخبار بواسطة الراديو الوحيد فِي البلجانية الذي كان يملكه البيك فقط ماركة RCA يتصل به هوائي (اريل) ممتد بين عمودين منصوبين فوق سطح الديوان ومن الأخبار الَّتِي كانت مهمة آنذاك العدوان الثلاثي على قناة السويس سنة ١٩٥٦. ومن طريف ما يذكر إنه فِي إحدى الليالي كان البيك والحاضرين يصغون إلى الأخبار كالعادة وبانتباه شديد وفجأة صدر من المذياع صوت تشويش أثناء البث فاستفسر أحد الفلاحين عن هذا الصوت مستغربا فأجابه الشخص الذي بجانبه بما معناه:

«إن هذا هو صوت الصراصير الَّتِي لم يبق سواها فِي قناة السويس بعد جلاء الجميع عنها بسبب الحرب!»

(الكَهوة جاغ)

وهي غرفة لإعداد القهوة والشاي توجد بجانبها غرفة اخرى مغلقة منذ سنوات طويلة يلفها الغموض ولا يعرف ما بداخلها يعتقد أولئك الذين كانوا يعيشون على الفطرة إنها مسكونة بالجن وقد نسجوا حولها الكثير من القصص والأساطير مردها إلى العقل الباطن من الخوف والسكون، ويقال بأن هنالك أمورا حدثت لأناس باتوا بالقرب من الغرفة عززت هذهِ الظنون. تقع هاتان الغرفتان بجوار الديوان تفصلهما عنه طارمة مرصوفة بالطابوق المربع الفرشي تسمى (طارمة أم الطابوق). وكانت جدران القصر مبنية بالطابوق السميكي المستطيل ويصل عرض الجدار إلى المتر تقريبا. أما ارضيات القصر والغرف مرصوفة بطابوق مربع (فرشي) بينما سقوف غرف الديوان والحرم مغطاة بـ (الچندل والبواري واللطاش). وكان سطح السقف السفلي مغلفا بقطع من الخشب المطلي باللون

الأزرق وبأشكال هندسية بديعة.

الحرم

ساحة الحرم الداخلية(الحوش) مكشوفة وجدرانها عالية ولا توجد نوافذ للغرف تطل على الخارج ولكن نوافذها تطل على جهتي (الحوش والشط).

يوجد فِي الحرم غرف منام وغرفة يحفظ فيها الرز والسكر والطحين.... الخ، وغرفة طعام تحوي ثلاجة نفطية وكراسي ومنضدة طعام كما كان هناك ملحق للحرم فيه مطبخ وغرفة للطباخين. وجرى تزويد جميع غرف الديوان والحرم بمراوح سقفية ومصابيح كهربائية. ويفضي حوش بيت الحرم شرقا إلى باب يطل على ممر يسمى(المعبر) ثم إلى(مسناية الحرم) وهذهِ المسناية محجوبة درجاتها قليلاً عن شط العرب وغير مكشوفة مباشرةً مثل مسناية الديوان لتهيئة مكان ساتر للنسوة.

ومنشآت اخرى

كانت الحديقة تقع جنب مسناية الحرم تسمى (البگشة) توجد فيها شجرة (همبة-مانجو) كبيرة تظلل على كل الحديقة، وبقيت تشكل علامة مميزة للبواخر والسفن هي والقصر. اما بيت الخدم فيقع غرب بيت الحرم يفصله عنه ممر وتعلو جداره الشمالي بيوت صغيرة وأقفاص لتربية أنواع الحمام. كما كانت علوة الحطب ملاصقة لبيت الخدم يكدس فيها سعف النخيل اليابس وكل ما يصلح للتدفئة والطبخ. وكان فِي حظيرة المواشي (البارگه) فيها العديد من الخراف والابقار والدجاج بينها عجل ضخم اطلق عليه اسم (كشيشان) وتقع إلى الجنوب من بيت الخدم. و كان من عادات البيك أن تقرأ له أجزاء من رواية عنترة بن شداد أو سيف بن ذي يزن بحضور البعض من أهالي الديرة فِي الليالي الَّتِي يصيبه الأرق فيها وذلك من قبل بعض الذين يجيدون القراءة قبل أن يغفو وينام على الكرسي الجالس عليه وكان

هذا إشارة لأهالي الديرة الحاضرين المجلس بالانصراف.

مكائن القصر

وتوجد جنب القصر على ضفة شط العرب ماكنتان إحداهما كبيرة بعجلتين كبيرتين نوع (روبنسون) للسقي والطحن وتوليد الكهرباء وأخرى أصغر منها للسقي والطحن وتوليد الطاقة الكهربائية (روبنسون) بطول ثلاثة أمتار تقريبا ذات عجلتين جانبيتين كبيرتين قطر كل منهما حوالي المترين ثقيلة الدوران تدار كلا العجلتين فِي وقت واحد.

هذه الماكنة تعمل بالوقود الثقيل الذي كان يشبه الزفت وذلك بعد تسخينه لتقليل لزوجته عندما يضغط إلى (الحواقن) داخل غرفة الاحتراق. وتتكون هذه الماكنة من غرفة إحتراق واحده و(بستن) واحد كبير. ويوجد على جانبيها (فلاي ويل) أو ما يسمى بالدولاب الطيار متصل فِي نهايتي (الكرنك) من الطرفين لغرض استمرار الحركة بالموازنة والقضاء على عملية الاهتزاز فِي المحرك ويستعمل الوقود الثقيل لأنه اقتصادي ورخيص. وتتم عملية تبريد هذه المحركات بالماء من (الخنزيرة) عبر مضخة ماء تدفعه إلى شبكة التبريد ويبرد المحرك ويخرج الماء الساخن وهكذا. وتعتمد آلية السقي على أنبوب حديدي تتصل فوهته العليا بالماكينة يمتص المياه من شط العرب. وكانت الماكينة تستخدم لتوليد الكهرباء وكذلك لسقي البساتين، و كان تيار الماء يخرج قوياً من إنبوب قطره ١٢ إنج يَصُب فِي حوض خرساني ومنه يخرج ليتوزع إلى شبكات من السواقي إلى الحدائق والبساتين. لقد كان صوت الماكينة ذا تقاسيم محببة عند تشغيلها وما زال من سمعه يتذكر نغمته الَّتِي يركب عليها كلمات ثم يرددها بشكل لاارادي. وعلى شط الجبلة أيضا توجد سقيفة من الصفيح تضم ماكينة أكبر تقوم بسحب المياه الَّتِي ترتفع فِي الأنهار وتغرق

الأراضي والبساتين جراء الفيضانات أو انكسار جزء من السدة وتلقي المياه فِي شط الجبلة. ومن طريف ما يذكر إن صفيح جدار سقيفة ماكينة الجبلة كان بمثابة مدفع الإفطار فِي رمضان إذ يجتمع عنده صبية وأطفال الديرة فِي المساء وبيد كل منهم عصا أو (عسگة) ينتظرون اشارة الـ (ملا لفته) مؤذن البلجانية الذي يقف على جسر الخشب القريب وهو ينقل نظره بين ساعة جيبه وقرص الشمس الأصفر المنحدر نحو المغيب خلف رؤوس النخيل جهة العامية. وعندما يعطي ملا لفته الإشارة ينهال هؤلاء الصغار بالضرب على صفيح السقيفة بصوت يسمع حتى آخر بيت فِي البلجانية بعدها يرفع ملا لفته اذان المغرب! كذلك يوجد (گراج) فِي الديرة(الجبلة) لإيواء اللوري حمولة ٣ طن (دوج) العائد للبيك.

كان من عادة البيك الجلوس على كرسي واسع مصنوع من الخشب والكنبار عند مدخل القصر مرتديا الصاية والسدارة يتطلع عبر نظارته الشمسية إلى مملكته وتحت قدميه يلعب كلباه المدللان(جاكي) و(كابي).

ولقد مسح القصر جراء الحرب العراقية الإيرانية بأرض البلجانية الَّتِي تحولت إلى مقابر صامتة، شأنه شأن العديد من الصروح الَّتِي كانت تعد علامات فارقة لميناء شديد الأهمية كالبصرة، وياله من زمن لن يعود!

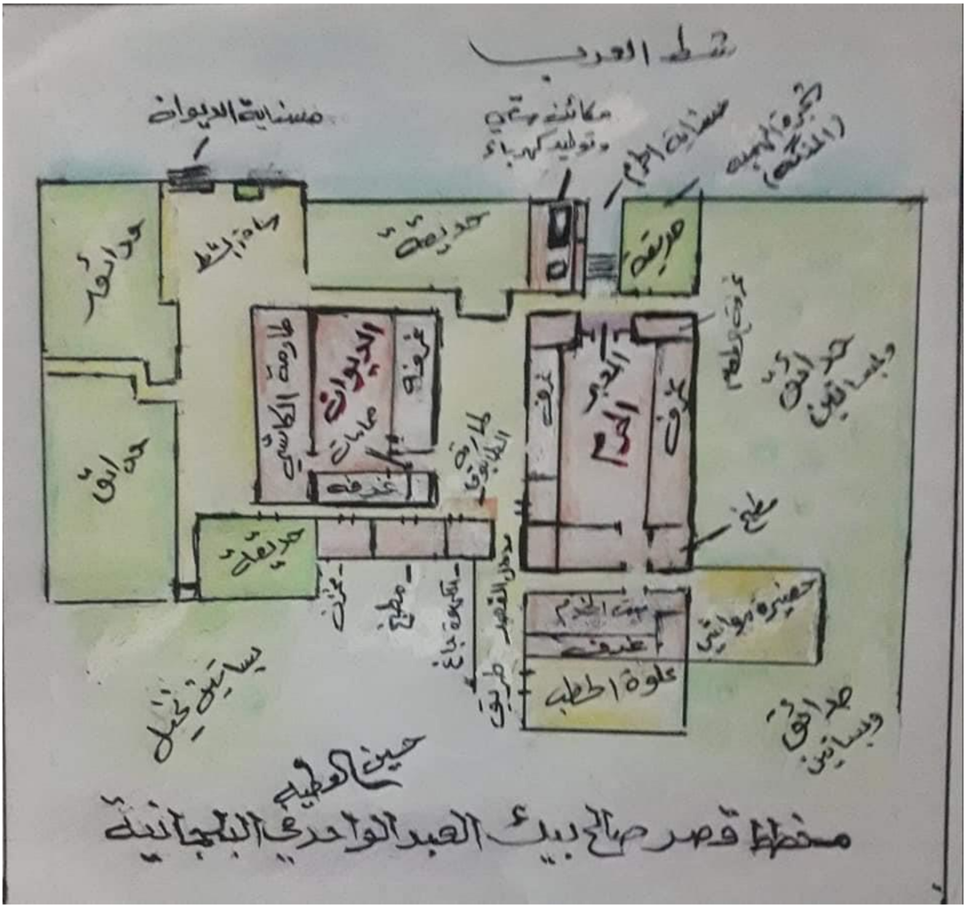

شط العرب
مسناية الديوان
مسناية الحرم
حديقة
حدائق
الديوان
الحرم
غرف
غرفة
مطبخ
بيت الخدم
علوة الحطب
حظيرة مواشي
بساتين نخيل
حدائق وبساتين
حسين العطية
مخطط قصر صالح بيك العبد الواحد البلجانية

٢.محلة السيمر وما جاورها..

ثامر سعيد آل غريب

نهضت محلة (السيمر) فِي اواخر القرن التاسع عشر حين اتخذتها سلطة الاحتلال العثماني همزة وصل باتجاه (العشار) المحلة الأقرب لشط العرب وللحراك التجاري الذي تميز باشتداد حدة التنافس بين (دولة الرجل المريض) او الدولة العثمانية والنفوذ البريطاني على التحكم بميناء البصرة الذي كان الخليج آنذاك يسمى باسمه. ولما ادرك العثمانيون اهمية الانتقال من منطقة البصرة القديمة (منطقة شناشيل الاغوات ورجالات الدولة)؛ عمدوا الى بناء صرح السراي الحكومي الذي توزع على ضفتي نهر العشار القادم من شط العرب ليحتل ضفتي النهر الشمالية والجنوبية. اضافة الى السجن المركزي. وهكذا ازدادت اهمية (السيمر) باعتبارها تطل مباشرة على النهر فافتتحت فيها عشرات المحلات التجارية وصارت تأتيها المهيلات والمراكب الصغيرة لتفرغ شتى اصناف البضائع. غير ان حريقا هائلا داهم المحلة سنة ١٩٠٤ واستمر أيَّاما معدودة لتعود (السيمر) الى سابق انزوائها كمحلة مطلة على الدرب المطل على النهر والذي يصل الى مركز المدينة على امتداد ما اسماه البريطانيون بـ(طريق الساحل) لغرض الانتفاع منه فِي اثر الاحتلال البريطاني للبصرة ١٩١٤.

وبسبب بدائية التوثيق وندرة الصور الفوتوغرافية قلما جرى ذكر محلة السيمر كواحدة من كبريات الواجهات التجارية فِي المدينة، ومع انطفاء آخر لهب وجمرة، ازدهرت قصبة العشار لتصبح مركز المدينة التجاري ولينهض معها سوق الهنود الشهير ومرسى الدوكيارد عند فم نهر العشار. ومن هنا يلاحظ القارئ

الكريم ان كاتب هذا الاستذكار الشاعر والموثق البصري ثامر سعيد كتب عن حياته الَّتِي عاشها كواحد من ابناء المحلة من دون ان يمتلك ايا من التفصيلات الَّتِي حصلت بطبيعة الحال قبل ولادته بسنين، تلك التفصيلات المتعلقة بماضي (السيمر) المجيد. لقد تركز جلّ استذكاره حول البيئة الاجتماعية للمحلة، وهو الأغفال الذي تلمسناه فِي كتاب ابن آخر لمحلة السيمر هو الشاعر الفقيد مهدي محمد علي فِي كتابه الاستذكاري الجميل (البصرة جنة البستان) لم يتطرق الى ماضي محلة (السيمر) رغم انه قضى طفولته وشبابه هناك قبل هجرته الى حلي ويتوفى فيها.اترك السطور التالية الَّتِي كتبها الصديق الشاعر ثامر سعيد ليحدثنا عن الواقع الشعبي فِي محلة السيمر وما جاورها

اتذكر السيمر جيدا فِي نهاية القرن المنصرم ومطلع سبعيناته عندما كنت تلميذا فِي مدرسة (الأصمعي)، أعبرها أو أمر بمحاذاتها عند ذهابي او عودتي من المدرسة. وأتذكرها ايضا خلال عقدي الثمانينات والتسعينات، اتذكر اشجدار جوز الهند الرشيقة الشاهقة تزين واجهة المحلة المطلة على الشارع الرئيس الَّتِي كان اهلنا يسمونها (نخل ابي جهل) لأنها لم تكن تثمر فِي ارضنا على الإطلاق.والأدق.. اننا نحن من كان يجهل تلقيحها وإثمارها. ولطالما احسست بما يشبه الدوار وأنا أمد بصري الرؤوسها المشرئبة فِي السماء. اتذكر شجرة اليوكالبتوس العجوز قرب الجسر تهوي بغتة مثل رجل اصابته رصاصة فِي الرأس لتشطر احدى السيارات العابرة نصفين. اتذكر موظفات البلدية وهن يدلين بسلالهن الخوص بخيوط طويلة من طبقة المبنى القديم العليا الذي يطل قفاه عَلَى حوانيت سوق السيمر فيملؤها العابرون او الباعة بما يطلبن من بقالة او صمون ساخن.واتذكر المقهى الصغير الطاعن فِي الذكريات وكازينو الميثاق، لعبة المحيبس فِي اماسي رمضان،

(أبو كريم القصاب) ومعاناة اولاده بين الجنسيتين العراقية والبحرينية؛ (جبار الحلاق)، (جعيوة ابو الفلافل)، بائعات قيمر الصباح الفاتنات، مصلح بائع الدراجات الهوائية الأنيق، مكوى الفحم القديم، العتالين المخضرمين وأصحاب العربات الخشبية الصغيرة، الخان القديم الذي اصبح سكنا لعوائل فقيرة،(ابو علي المنصور)، (طالب الربيعي) الذي اختفى بطريقة غامضة لتحل بعده امه العجوز فِي ادارة حانوته الصغير، حلاقة كليوباترا وصاحبها وكيل الأمن الذي يعرف كل من فِي السوق مهنته الثانية!

الخضارين وباعة اللبلبي والمتسولين ومراقبي البلدية الجوالين، وجه المخبر السري وشاربه الكث، افران الدهان وهي اقدم افران المدينة اتخذت مكانها فِي السيمر منذ عهد الحطب حيث كانوا يستخدمون حطب اشجار الاثل فِي شواء الصمون والحلويات تأتي به عربات الخيل من الزبير والبرجسية. شجرة البرهامة على ضفة النهر تشبه هرما فرعونيا اخضر بضوعها الساحر أيَّام الربيع!،

المنطقة الصناعية، سيد ادريس:

الرجل المبارك، تجلب النسوة اطفالهن المرضى اليه ليبصق فِي افواههم فيتماثلون للشفاء او يموتون.

معرض السيارات الامريكية اتذكر بيت الشناشيل الكبير الذي كانت تشغله شركة (بيت لاوي) بلا واجهة زجاج عريضة ولا سيارات جديدة فارهة. كان المكان فرعا من شركة بيت لاوي الأم لتجارة السيارات لتجارة السيارات الَّتِي تملكها احدى العائلات اليهودية.الحاج جودي اول ميكانيكي سيارات فِي السيمر والاسطة حسن الشلهاوي، اتذكر الدرب الملتوي الضيق الذي يشبه المتاهة يفضي-

بك الى محلة الحميدي، اتذكر القناة المشيدة تحت الشارع العام المحاذي للنهر تأخذك الى نهر العروة مرورا بالمعصرة وبساتينها.أما اهالي السيمر القدامى فكثير ممن بقي منهم على قيد الحياة مازال يتذكر (شاكر نوح) وطائرته الَّتِي اقلعت يوما من أيَّام العانات فِي اربعينات القرن العشرين من السيمر لتسقط فِي الساحة الَّتِي نطلق عليها اليوم ب(ساحة الزعيم) بالقرب من (كمب الأرمن). كان شاكر نوح رياضيا بعضلات مفتولة حسبما وصفه من عرفوه. يعتمر دائما قبعة شبيهة بقبعات الانجليز، وبحفنة من العانات -العانة كانت قيمتها اربعة فلوس فِي زمانه، زادها عبد الكريم قاسم فيما بعد فلسا آخر- تمكن شاكر نوح من شراء من شراء محرك سيارة صغير فصنع طائرة، وبعد العديد من المحاولات استطاعت ان تطير فِي سماء المدينة وانتهت بالسقوط! محاولته تلك كانت قادته الى السجن فلم يخرج منه الا بعد ان تعهد ان لا يعود لفعلته تلك! محلة القطانة اما دهليز السيمر الخلفي يبدأ من استدارته الَّتِي يسميها اهالي أيَّام زمان (الفضوة) فِي حلق الشارع المؤدي الى ديوانية (ميرزا عباس محمد تقي) وأقدم جوامع المكان (جامع محسن محاسن) الذي يمتد بمحاذاة قفا بنايتي البلدية والاوقاف القلعتين ويطل عليه طابور حوانيت على جانبي الخان القديم وينتهي بالفرع الذي يشخص فيه محل المصور الشهير (ابو علي) وهو من قدامى محترفي التصوير فِي المدينة؛ لتبدأ من بعده (محلة القطانة): مجموعة من محال المنجِّدين الذين توارثوا عن آبائهم مهنة الندافة وما زالوا متشبثين بها الى يوم كتابة هذه الجولة الممتعة، مخازن القطن، بيوت الشناشيل الَّتِي بدأت تغير ملامحها خلال العقود الثلاثة الماضية بإعادة ترميمها وشق جدرانها السميكة لتحويل ما يليها من غرف الى محال تطل على لشارع مباشرة، محلات الحدادين وحرفيي الصفيح وصانعي السكاكين والمناجل وبعض العدد الزراعية البدائية، مصلحو الساعات

اليدوية القديمة، جامع القطانة القديم، محال ومحال ومحال! خانات وخانات حتى نصل لشارع بشار بن برد فِي المكان الذي يعتقد ان فيه قبر التابعي الجليل (علي بن يقطين)، تعبر الشارع لتلج دربا عاليا تطل عليه من جانبه بضعة محال ليأخذك الى المطعم المركزي بسنينه الطويلة ورائحة شوائه المنتشرة فِي ارجاء المكان.لن تجد اليوم مركز الشرطة القديم بعد هدمه قبل سنوات وشيد فِي مكانه عدد من المحلات زادت رقعة السوق الطاعنة بالحوادث والسنين، شارع آخر يأخذك جنوبا الى القسم البلدي وخان المزروعي ومقهى ام السباع وسوق السمك وعز الدين ومحال بقالين وخضارين وعطارين لا تحصى، ويأخذك شمالا الى سوق القصابين المسقف وعباس الجامجي وسوق العقيل بحوانيته وازقته المسقفة وهوائه الاقل سخونة من هواء فضاءات السوق الآخر فِي نهارات الصيف البصري اللاهب أخرى لا تحصى- ولا تعد! تعبر ضوضاء هذا الشارع لتدخل الى ضوضاء اخرى فِي قلب السوق القديم فيواجهك درب ضيق تصطف على جانبيه محلات اقدم العطارين. سوق العطارين هذا احرقت نصف حوانيته المتهالكة وسقطت على رؤوس اصحابها فِي لحظة واحدة بصاروخين ايرانيين وتجتاز سوق العطارين لتدخل سوقا ثالثا ينتهي بك فِي سوق الجمعة!

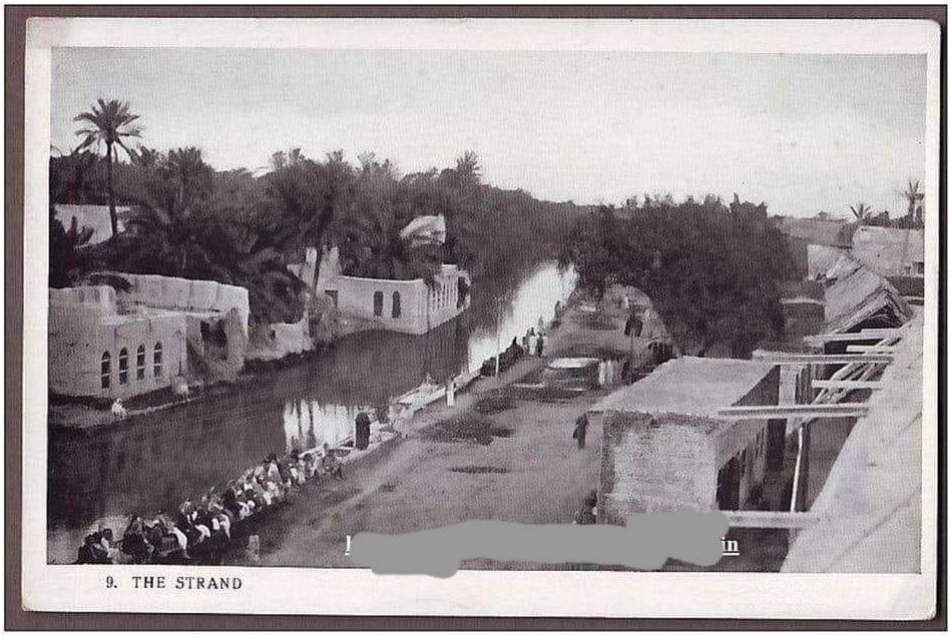

9. THE STRAND

٣ الباشا والبلوش

محلتان متجاورتان حافلتان بالمعالم الاثرية

حسين العطية

عندما تسير في منطقة البراحة في محلة الباشا في البصرة القديمة بإتجاه الشارع الممتد إلى جسر الغربان الذي يربط محلة الباشا بمحلة نظران، وبعد تخطيك جامع ذي المنارتين وقبل وصولك إلى هذا الشارع تشاهد إلى يسارك (صعدة) يقع في بدايتها إلى اليسار جامع ابو منارتين وإلى يمينك بيت ركن كانت تسكنه حتى عام ١٩٨٩ عائلة المرحوم عبد الرزاق الحمداني مدير مدرسة (النبراس الابتدائية) الواقعة في محلة الباشا مقابل جسر الغربان، وكان هذا البيت مع البيت الذي خلفه يكونان بيتا واحداً، وقد ازيلت الشرفة الأمامية لجانبه الذي يطل على الصعدة وتم استبدال الباب الخشبي الصاج الذي تتصدره مطرقتان كرويتان من النحاس

وما ان تسير في الصعدة قليلاً حتى يلاقيك إلى اليمين زقاق يقع في بدايته إلى اليمين بيت ركن كانت تسكنه (أم ارسيل)اليهودية كانت تستدعي الصغار لايقاد أو إطفاء أدوات الطبخ والإضاءة أيَّام السبت من كل أسبوع (هذا البيت باق لحد الآن). هذهِ الدربونة الضيقة يقع فيها أيضا بيت (ملا إدريس) وبجانبه بيت غلوم تاجر القماش المعروف يقع محله في سوق البصرة القديمة سوگ المسگف (سوق القماش والخياطين). هذا الزقاق تقع فيه حالياً متوسطة البيت العتيق للبنات.

هذهِ الصعدة هي بداية بيوت جبل البلوش الَّتِي كانت حتىٰ نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات تسمىٰ (بيوت النصارىٰ) لكثرة ساكنيها من المكون المسيحي.

محلة البلوش ـ الباشا

من المحلات القديمة فِي البصرة ذات الموقع الجيد ولها ميزة اسرية عريقة كانت السبب فِي ذيوع صيتها ومكانتها، فضلا عما امتازت به من معالم أثرية وتراثية وتعليمية ودينية، ولها تسميات عديدة سميت فيها فِي العهد العثماني من ذلك ماعرفت بإسم (حوش الباشا) نظرا لتعدد الباشوات والأعيان الذين سكنوها فِي تلك الفترة إذ كان موجودا فيها دارالسراي مقر الحاكم العثماني لولاية البصرة عام ١٧٦٥ وفيها بعض البيوت لجاليات اجنبية، وداران للقنصلين البريطاني والفرنسي ويعرف مكانها يومذاك (الشنيار) لأنهما كانا يرفعان علمي حكومتهما من علىٰ تينك الدارين، وقد خرب هذا المكان بفعل مرور الزمن حتىٰ عام ١٧٧٣.

كذلك تعرضت البصرة لحصار الشاه (صادق خان الزندي) عام ١٧٧٤ - ١٧٧٦ وخربت هذهِ المحلة فِي عام ١٨٢٠ بما فيها محل الشنيار، والشنيار (لفظة اعجمية بمعنىٰ العَلَم)، وبعد مرور الزمن أصبح محل الشنيار تلا مرتفعا نتيجة ما تراكم عليه من النفايات والاوساخ وتكدسها عليه وبقي علىٰ حاله فترة طويلة من الزمن إلىٰ أن استملكه فِي السنين الأخيرة قسم من الاهالي والتجار فأقيمت أرضه البيوت، وكان يحيط بديوان السراي العثماني من جهته الجنوبية ثكنات العساكر والمدفعية، ومن جهته الشمالية دائرة كمرك البصرة.

في عام ١٨٥٩ م، نقل سراي الحكومة إلىٰ سوق السيمر فِي ولاية (ويسي باشا) والي البصرة وجعله طابقا واحداً.وأما فيما يخص محلة البلوش فبعد أن حل

فيها الخراب والدمار من أثر (الطواعين) والنكبات الَّتِي شهدتها آنذاك ومنها هذهِ المحلة، اتخذت مسكنا للفقراء والمعوزين وأغلبهم كانوا من الوافدين الذين قدموا إلى البصرة من إيران وبلوشستان (البلوش) لكسب الرزق والأشغال بالأعمال الحرة فِي البصرة فسميت هذهِ المحلة باسمهم (جبل البلوش).

العوائل العريقة فِي محلة الباشا

تقع محلة الباشا (البكر والاحرار) مقابل محلة نظران ويفصلها عنها نهر العشار الذي يحدها شمالاً، وجنوبا شارع بصرة – عشار وشرقا محلة السيف وغربا يحدها نهر متفرع من نهر العشار ويمر عكس مكبس (چرداغ) الحاج عبد السلام المناصير ثم يتصل بنهر الخندق ويتصل بنهر الخورة عبر نهر البنة فِي محلة المشراق.وترتبط محلة الباشا بمحلات تجارية فِي منطقة البراحة بالقرب من جامع ذي المنارتين ومن هذهِ المحلات محل الحاج محسن البدران وأخيه مرزوق البدران ومحل يوسف ومحل اسماعيل المناصير ومحل ستار البدر ومحل باقر الاوتجي ومحل رزكون و بيت عبد القادر باشا الجلبي وبيت عبد الحميد السلمان مدير الطابو سابقاً، وبيت الغانم قبل أن يذهبوا إلى الكويت وبيت عطا السالم وبيت خالد البدر وبيت قاسم باشا الزهير وبيت عبد الرحمن البدر وبيت السيد توفيق النقيب وبيت ست فخرية مديرة مدرسة الأشبال للبنات وبيت الخليل ابو فاروق وبيت حسين السالم وبيت يعقوب العون وبيت النعمة وبيت جبار باشا الزهير وبيت عبد الكريم المناصير وبيت نوري المناصير وبيت الحاج مصطفى السلمان وأخوه سعودي وبيت سيد إبراهيم الرفاعي وبيت عبد القادر السياب (صاحب جريدة الناس) ماقبل الخمسينات وهو ممن شاركوا فِي ثورة مايس ١٩٤١ وهم عبد القادر السياب والحاج عبد الوهاب خلف العيادة والشاعر الشعبي المعروف وبيت عبد الوهاب المناصير وبيت ال عبد الواحد

وبيت الراهبات السريان وبيت القرناوي وبيت الإمارة – الشيخ جري الإمارة وبيت الشيخ خزعل وبيت أحمد البدر طبيب الأسنان وبيت باقر الاوتجي وبيت ملا إدريس وبيت الشيخ عبد الكريم الحمداني أمام وخطيب جامع ذي المنارتين وبيت السلطوني وبيت سالم الصفار وبيت السيد احمد باشا الصانع اول متصرف للبصرة منذ العهد الملكي فِي زمن الملك فيصل الأول وبيت الشيخ سالم مزعل الإمارة وبيت السيد طه عم المقاول المعروف فِي البصرة سيد أمين الذي بنى دور أمين نعيم فِي المعقل الَّتِي سميت باسمه زمن المرحوم مزهر الشاوي المدير العام للموانئ العراقيه. بيت الدغمان الذي يقع مقابل بيت السيد حامد النقيب الذي على النهر وبالضبط بين بيت المرحوم عبد الكريم الحمداني وبيت المرحوم مصعب السالم الذي عمله البان شط العرب وبيت الست بليني معلمة فِي مدرسة الأشبال الابتدائية للبنات وبيت جيحو ابو الكبة وبيت القس حنينا رجل الدين المسيحي لكنيسة الكلدان وبيت حنكو ابو فرج وبيت اديسو ابو فريد وبيت ناصر بولص مدير المستشفى السابق وبيت نبيل الخالصي وبيت يلدة ابو سمير وبيت سليم طويك وموسى طويك وبيت جبرائيل وبيت فرنسيس وبيت متي ابو البير وبيت يونس ابو نعمو.

معالم أثرية وتراثية

جامع ابو منارتين

وهو من الجوامع القديمة فِي البصرة حيث بني فِي العهد العثماني بداية القرن الثالث عشر الهجري، وكان يسمى (جامع سالم البدر) وعمل فيه عدد من الخطباء والأئمة ومنهم الشيخ عبد الكريم الحمداني وملا إدريس والشيخ اياس عبد الكريم الحمداني

جامع عزيز آغا

من الجوامع القديمة فِي البصرة وكانت له شهرته أبان العهد العثماني قبل سنة ١٨١٦ م قبل ولاية متسلم البصرة (محمد كاظم آغا) وكانت تقع بجانبه المدرسة الرؤوفية الَّتِي اسسها السيد عبد الله عبد الستار ال عيادة وسمي بجامع كاغ ماغة (سوق كاظم آغا) وبقي هذا السوق والجامع من زمن الثلاثينات وحتىٰ نهاية الستينات حيث كان موقف العربين الَّتِي تنقل الركاب إلىٰ المستشفىٰ الجمهوري وبالعكس بعشرة فلوس، علماً إن شركة العربين قديمة إذ تأسست فِي البصرة منذ عام ١٩٠٣.

جامع الزهير

وهو أيضا من الجوامع القديمة بناه المرحوم قاسم باشا الزهير سنة ١٨٩٠ م واعيد بناءه ثانية سنة ٢٠٠٣.

كنيسة الكلدان

وهي من الكنائس القديمة جدا فِي البصرة وتقع قرب جامع ذي المنارتين وبجوار بيت الحاج عبدالله أبا الخيل وبيت ال النعمة وبيت نوري وأسعد المناصير والمسؤول الديني عنها القس حنينا المشهور فِي البصرة.

عباس ابو (مطرق) عبدالله الهائم.

يعتبر من المقامات القديمة فِي البصرة ويقع فِي نهاية محلة البلوش - البكر والاحرار وخلف بناية إعدادية البصرة للبنين ومقابل مكبس التمور جرداغ الحاج عبد السلام المناصير، وكانت علىٰ ضريحه قبة سابقاً، وحاليا مقام تقام به التعازي الحسينية والفواتح والشائع عند الناس هو عباس ابو مطرق وهذا ليس صحيحا وإنما اسمه الصحيح هو عبدالله الهائم وهو الولي الزاهد صاحب الكرامات.

ثانوية البصرة للبنين

وقد شيدت فِي عام ١٩٤٩ م بأسم ثانوية الملك فيصل الثاني فِي باديء الأمر فِي بستان عبد القادر الچلبي وتقع خلف مقام عبد الله الهائم، وكان أول مدير فيها هو الأستاذ المرحوم حسن البلوشي.

مدرسة الأشبال الابتدائية للبنات

وهي من المدارس القديمة فِي محلة الباشا قرب جامع ذي المنارتين فِي البراحة وجامع عزيز آغا وتطل على منزل عبد القادر باشا الجلبي وبعد ذلك أنشأت لها بناية جديدة خلف منزل الأستاذ عطا السالم وفي أرضه على مقربة من جامع ذي المنارتين.

دار المعلمات

وفي نفس بناية مدرسة الأشبال القديمة تم فتح دار للمعلمات فِي البصرة وكانت مديرة المعهد آنذاك الست ليلى عبد الحميد السلمان زوجة مدير طابو البصرة سابقاً.

جمعية الإخوان المسلمين

وبعد إنتقال المعلمات من مدرسة الأشبال القديمة حلت محل المعهد جمعية الإخوان المسلمين ومن ثم انتقلت الجمعية إلى مبنى مدرسة الموفقية الابتدائية مقابل خزان ماء السيف وحمام للرجال والآن بني محلها جامع البصرة الكبير.

اشارة

استند هذا الرصد على المعايشة الشخصية للكاتب حسين العطية وعلى مصدرين اعتمدهما: تراث البصرة، الجزء الأول والثاني، عبد الله رمضان ال عيادة وكتاب البصرة... ولاتها ومتسلموها.. مراقدها ومزاراتها الدينية- الشيخ حسن ثجيل النصار والأستاذ عبد العظيم اسحق راضي.

St. THOMAS CHALDEAN CHURCH
Abdulfatah Albasry

St.THOMAS CHALDEAN CHURCH

٤. الحاج عبد الله وليمسون من انكلترا الى نظران

قصد العديد من علماء الآثار والكتاب والسياح العاديين العراق فِي الأزمنة الغابرة. منهم من قدم للترحال، ومنهم من مكث وعاش فِي العراق لسنين طوال، منهم من ضاعت آثاره ولم نعلم عنه شيئا، ومنهم من كتب شيئا أو كتب عنه شيء فأصبح له مقام ومن هؤلاء الإنكليزي ويليم وليمسون.

البدايات

ولد وليام ريتشارد وليمسون فِي مدينة بريستول البريطانية سنة ١٨٧٢. وفي الثالثة عشر من عمره أصبح مشاكساً وفاشلاً فِي التعليم فأراد والده وعمه إرساله للعمل على البواخر فِي البحر لترويضه وتهدئته، فرحل الى أستراليا والى أمريكا حيث قضى بضع سنين. وبعد تجوال فِي جنوب شرق آسيا والهند أستقر فِي عدن، وكانت تحت الاحتلال البريطاني، حيث عين شرطياً فِي سنة ١٨٩٢. أقامته فِي اليمن دفعته الى الاطلاع على الدين الإسلامي وبالتالي اعتناقه وتغيير أسمه الى عبد الله فالح مما سبب له مشاكل كبيرة مع إدارة الشرطة البريطانية.

وعندما لم يسمح له بإجازة لأداء فريضة الحج، قدم استقالته من الخدمة لكنها رفضت بحجة أنها يجب أن تقدم الى الإدارة البريطانية فِي الهند. رحل وليمسون الى الهند لتقديم استقالته والعودة الى اليمن. لكنه فوجئ بعد قبول الاستقالة أنه ليس هناك أية باخرة أو مراكب جاهزة يمكن أن تقله الى الجزيرة العربية، فقد منعت السلطات البريطانية الَّتِي كانت تراقب تحركاته عودته الى الشرق العربي. استطاع

وليمسون إقناع أحد تجار الخيول العراقيين فِي بومباي بشراء بطاقة العودة الى البصرة على متن الباخرة «بانكورة» وهكذا تمكن بشكل سري متنكراً بزي عربي من الصعود الى الباخرة. لم تطل سعادة وليمسون بمغادرة الهند فبعد وصوله مدينة بوشهر الإيرانية استدعاه قبطان الباخرة ليعلمه بطلب القنصل البريطاني بعدم السماح له بالنزول فِي البصرة وعليه إرجاعه الى بومباي حسب أوامر الحكومة الَّتِي أبرقت الى القنصل. أخبر وليمسون بعض العرب على ظهر الباخرة بمحنته، فأقترح عليه تاجر اللؤلؤ فِي الكويت الشيخ يوسف إبراهيم بخطة تقضي- بأن يحشر وليمسون نفسه مع أتباع الشيخ والنزول فِي الكويت، ومن هناك يمكنه الذهاب الى البصرة.

بعد استقراره فِي البصرة لعدة شهور انغمس بدراسة اللغة العربية وتعاليم الدين الإسلامي. ثم فوجئ فِي أحد الأيَّام بإخطار من القنصل البريطاني بالحضور أمامه، وعندما رفض الذهاب تدخل القنصل لدى السلطات التركية لإلقاء القبض عليه بصفته من الرعايا البريطانيين. كان لابد لوليمسون من الهرب وبمساعدة بعض من أصدقائه المتنفذين فِي البصرة انتقل الى الزبير حيث استقر لما يقارب العامين ينتقل فيها بين الحين والحين الى البصرة والكويت وأصبح أسمه عبد الله فالح الزبير. فِي سنة ١٨٩٦ ادى فريضة الحج الى مكة والمدينة وعند رجوعه عاد ليستقر فِي البصرة، وبدأ يشتغل فِي التجارة ومنها تجارة الخيول مع الهند، وتجارة اللؤلؤ فِي الخليج، وأصبحت له علاقات حميمة مع عائلة النقيب فِي البصرة والسعدون فِي المنتفك وغيرها، وخرج الى الصحراء حيث قضى سنوات مع البدو، ونالت شهرته الخليج من البصرة وحتى مسقط.

الأعجوبة

ومن الطريف ما يرويه عن تلك الفترة، قصة استقدام الدراجة الهوائية الى البصرة. كان السيد أحمد النقيب قد استورد دراجة هوائية من الهند فدعى الحاج عبد الله ليريه ركوبها. أحضرت الدراجة فِي باحة البيت وقد تجمع أولاد النقيب والأصدقاء والخدم للنظر الى هذه الآلة الجديدة، كانت الدراجة من النموذج الأولي ذات دولابين أحدهما كبير والأخر صغير جداً وبعد عدة محاولات استطاع وليمسون الدوران فِي باحة البيت راكباً الدراجة وسط دهشة الجميع واستغرابهم. كان السيد أحمد النقيب سعيداً بدراجته وطلب من وليمسون الذهاب بها الى الزبير ليراها أخوه السيد علي النقيب. سلك وليمسون بالدراجة الطريق الى الزبير ورغم سقوطه مرات عديدة وصل المدينة وأخترق السوق حيث كان مكتظا بالبدو الذين يأتون للبيع والشراء، وكان المشهد مذهلاً. فزع الناس من رؤية شاب ملتحي يركب دولابا كبيرا وآخر صغير وكان ذلك منظرا يألفوه من قبل. أدار البعض وجههم يستغفرون الله وسحب البعض الأخر خناجرهم للدفاع عن أنفسهم وتجمع عدد كبير من الناس ليروا تلك الظاهرة. توقع وليمسون استغراب الناس لكنه لم يتوقع هيجانهم وتعالي الأصوات لتصم الآذن وما تلاها من رمي الأحجار والعصي. استطاع وليمسون الولوج فِي أحد الأزقة الضيقة ليدخل بيت أحد التجار الذين يعرفهم فِي المدينة وينقذ نفسه لكن بعد إصابات عديدة، هكذا دخلت الدراجة الهوائية الى البصرة فِي نهاية القرن التاسع عشر!

الفونوغراف

وفي طرفة أخرى تستحق الذكر، فِي أحد الأيَّام كان الشيخ مزعل السعدون فِي زيارة الى السيد طالب النقيب فِي البصرة وقد شاهد الفونوغراف (الحاكي) وهو يعزف الموسيقى والأغاني وكان شيئا حديثاً غريباً فأخبر أخاه فالح السعدون بما رأى. طلب الشيخ فالح السعدون أن يرى هذه الآلة العجيبة ووقعت المهمة على وليمسون بالذهاب الى شيخ المنتفك مع الفونوغراف لمشاهدته. خطرت للحاج عبد الله وليمسون فكرة تسجيل بعض من الآيات قرآنية بصوت أحد الملالي وكذلك مقطوعات غنائية وقدم لها كلمة بنفسه قال فيها: «السلام عليكم، سنقدم لكم أغنية، من الله التوفيق وأطلب منكم السماح... الخ» -كانت الفونغرافات القديمة تزود بأسطوانات من الشمع يمكن التسجيل فيها وهي فعلاً أسطوانية الشكل - بعد أيَّام غادر وليمسون وصحبة من المرافقين مع الفونوغراف والأسطوانات الى الصحراء حيث يقيم الشيخ فالح، فاستقبله الشيخ بكل حفاوة وتكريم وأقيمت الولائم المعتادة. بعد انتهاء الطعام والاسترخاء مع سجائر الدخان والقهوة اتجهت عيون الحضور الى ذلك الصندوق الخشبي اللامع وقد ربط به مكبر الصوت الكبير ذو الرقبة الطويلة، وقد أشار الشيخ فالح الى وليمسون بتشغيله. اختار وليمسون الأسطوانة الأولى الَّتِي سجل مقدمتها بنفسه وشغل الفونوغراف، فما أن خرج الصوت من المكبر: السلام عليكم، سنقدم لكم أغنية... كانت بقية الجملة قد ضاعت فِي الهرج والمرج من الحضور الذين أسرع بعضهم خارج الخيمة وقد تناثرت النارجيلات والسكائر وأقداح القهوة فِي كل مكان واختبأ البعض ليبتعد عن تلك الأصوات - الأرواح الخارجة من الصندوق. يقول وليمسون، أبدى الشيخ فالح تعجبه واهتمامه الشديد بما يرى، وعكس تصرفه بقاء الآخرين مكانهم صاغين الى

ذلك الجهاز العجيب. عاد الى الخيمة من خرج هارباً بعد أن أطمئن بعدم وجود أرواحٍ خبيثة فِي الصندوق لكن أغلبهم ظن ذلك من عمل الجن بل أن الجن داخل ذلك الصندوق وأن الحاج عبد الله فالح الزبير قد أعطاه الله من الأسرار.

بعد سنين طويلة من التجوال والترحال فِي الصحراء والخليج أستقر وليمسون مع عائلته فِي البصرة وأمتلك بيتا وبساتين نخيل وعندما أعلنت الحرب العظمى فِي سنة ١٩١٤ كان للحاج عبد الله خبرة أكثر من عشرين عاماً فِي المنطقة استفادت منها القوات البريطانية الغازية حين أنضم وليمسون الى الاستخبارات العسكرية البريطانية، وقد أنضم بعد ذلك فِي حاشية الجنرال مود وأستقر فِي بغداد بعد أن تزوج للمرة الرابعة من فتاة بغدادية. وكانت مهمته فِي بغداد ملاحقة الجواسيس الأتراك واقتناصهم. وبقي يعمل لحكومة الاحتلال حتى سنة ١٩٢٢ حين سرح أغلب الموظفين البريطانيين. وبعد عودته الى البصرة، دعاه أرنولد ولسون، الحاكم السياسي السابق فِي العراق، للعمل كمفتش لشركة النفط الإيرانية-البريطانية فِي الخليج وأستمر فِي منصبه حتى تقاعد فِي سنة ١٩٣٧ عند بلوغه الخامسة والستين.لم يكن الحاج عبد الله فالح الزبير يلتقي بالجالية الأوربية فِي البصرة بل عاش منعزلاً فِي كوت الحجاج أحدى المحلات القديمة فِي البصرة وعاش أبناؤه كعراقيين وبأسماء عربية. وتوفي فِي البصرة ودفن فيها سنة ١٩٥٨.

٥. لوحات بصراوية بريشة نجدية

سامي الشمري

كانت شريعة البهرة تحتضن مرسى القوارب العشارية، والبهرة طائفة هندية من فرق الشيعة، يأتي افرادها كل عام بواسطة البواخر الَّتِي اعتادت الرسو على رصيف العشار، فيستقرون مؤقتاً فِي خان كبير يجمعهم كلهم، يسمى خان البهرة فِي مكان لا يبعد كثيراً عن مطعم بومباي الهندي، الذي كانت رائحة طعامه تجلب الجياع والمتخمين. كنت ارقب جموع (البهرة) من رجال ونساء وأطفال، تدهشني ملابس نسائهم، الَّتِي تشبه ملابس الراهبات فِي القرون الوسطى، أشاهدهم كيف يستعدون لركوب الباصات الخشبية للذهاب للنجف وكربلاء. فِي الواقع كنت فضوليا فِي تقييمهم من حيث ملامحهم ومظهرهم، فلم أجد بينهم لا فِي الرجال ولا فِي النساء ملامح جمالية، كانت الفتيات الصغيرات شاحبات الملامح، يفتقدن الجمال الهندي المعروف، وكان الرجال يتعاملون مع النساء بخشونة وصرامة غريبة، أدركت حينها إن البصرة بوابة العراق ونافذته المطلة على العالم.

في شريعة البهرة حيث الأبلام العشارية المنسابة فوق سطح الماء بمظلاتها تحمل المتنزهين، كنت أتمنى أن أقوم بجولة نهرية بقارب يحملني إلى شط العرب، لكنني كنت صغيرا، ففاتحت والدي برغبتي، فطلب من احد الخدم مرافقتي وأعطاه أجور النزهة.

اول نزهة نهرية فِي حياتي

حينما كان البلم العشاري يمخر عباب شط العرب، جلست مأخوذا بجمال مناظر أشجار النخيل والمراكب والبواخر، الَّتِي هالني حجمها وهي تشق الماء فِي طريقها إلى المرفأ، تعرفت لأول مرة على رائحة الشط فعشقتها، وكنت أمد يدي لارتشف جرعات من مياهه الرقراقة متأملا عظمة الخالق، فارتبطت منذ ذلك الوقت بعشق غريب للجداول والنخيل ورائحة شط العرب. وكانت الرحلة أشبه برحلة سندبادية، رويتها لأصدقائي فِي مدينة الزبير، فتجمعوا حولي وكأنني قادم من جزر الواق واق.

دقات ساعة سورين

في البصرة وجدت نفسي أتأقلم بسرعة عجيبة، وكأنها انتقالة نوعية لطفل عاش سنواته المبكرة فِي بيئة قاسية، وتقاليد متشددة. كان من النادر أن نرى النساء كاشفات الوجوه فِي مدينة الزبير، ومن المستحيل اختلاط الجنسين من الأطفال حتى مع الأقارب، لكن استقراري فِي هذه المدينة الَّتِي لم يهدأ ضجيجها، ومشاهدتي النسوة كاشفات الرؤوس، وأحيانا لا يرتدين العباءات، خصوصا نساء اليهود والمسيحيين، غيرت نظرتي بأن المرأة ليست جسداً متسربلاً بغطاء اسود، فقد كانت جاراتنا يهوديات يحترفن الخياطة، يخرجن للشارع بكامل زينتهن من دون أن يجلبن انتباه العيون الشرهة، فكنت أتعمد الوقوف أمام بيوتهن حينما يخرجن متبرجات، فانتهز الفرصة لتنسم شذى العطور الَّتِي تفوح منهن، كنت أتساءل ببراءة الأطفال، هل العطر حكر على هذه النسوة؟

في الليل أمضيت ليال طويلة أعاني من الأرق، لم أكن قد الفت النوم بعد فِي سرير تحجب فيه الناموسية عالمي السحري، وتمنعني من مراقبة النجوم،

والاستمتاع بطراوة نسمات الليل تحت ضوء القمر، فِي المساء تشتد الرطوبة ويضطر السكان لوضع الناموسيات اتقاءً للذعات الناموس، كنت أظل مستيقظا لساعات متأخرة تقطعها دقات ساعة سورين وهي تشير إلى منتصف الليل، فتغرق البصرة فِي سكون عجيب لا تقطعه إلا أصوات زفرات مكائن الطحين، وصدى غناء البحارة الخليجيين فِي سفنهم الخشبية، حيث يقضون أمسياتهم بالغناء، لم نعد نسمع نباح الكلاب وعواء الذئاب فِي بر الزبير، ولم نعد نرقد فِي أسرتنا المكشوفة بدون تلك الناموسيات.

لقد شكل انتقالنا منعطفا سحريا فِي حياتنا بالنزوح من حياة الواحة لحياة المدينة، لكنني مازلت أتوق لحياة البرية مشدودا البساطة والدعة والقناعة، فلم تكن لدينا تطلعات برفاهية لم نحصل عليها مثلما وجدناها فِي البصرة، حيث وجدت إن نقود الإنسان تخدمه، فتأكدت من انك إن لم تدفع لن تأخذ ما تريد، فقد كنت فِي البصرة اشتهي أمورا كثيرة لم أجدها فِي حياتي فِي الزبير، كنت أحب تناول الحلويات، وكانت الأسواق عامرة بعروضها المغرية، وحينما احصل على مصروفي اليومي المتواضع وهو (آنه) أي أربعة فلوس تظل الحيرة تتقاذفني بكيفية التصرف بها، هل اشتري شربت الزبيب، أم كأساً من الايسكريم الأزبري، أم اشتري بها سمبوسة هندية حارة من مطعم بومباي؟، وكانت تجود عليّ والدتي بعشرة فلوس تدسها بيدي سرا لئلا يعرف جدي، الذي كان شعاره الدائم: إن الفلوس تفسد الأطفال، كأني اسمع صوته الودود يتردد فِي مخيلتي، وهو يصيح بنا: اخشوشنوا فأن الترف يزيل النعم.

ASHAR CREEK—THE MAIN WATERWAY LEADING FROM THE SHATT-AL-ARAB RIVER TO THE CITY OF BASRAH. NATIVE PASSENGER CRAFT (BELLUMS) IN FOREGROUND

113

٦. مقهى

كاظم حسن سعيد

ان تقصد مقهىٰ لترقب حركة السوق.. فيصادفك خمسة مجانين.. يستقرون قربك او يمرون...لكنه ليس مقهىٰ بالمعنىٰ الاصطلاحي.. انه مدخل لدربونة تتفرع من سوق صاخب.. رصفت كراسٍ تقابلها ادوات شاي وفحم.. هنالك من يطلب القدح بهدوء ربما بإشارة..اخرون يمسرحون مشيرين الىٰ حداثة نعمة او يعكسون انتفاخ الذوات او التفاهة.. او ليقولوا للناظرين عيونكم علينا فنحن نتحلىٰ بمحابس ثمينة ودشداشات ثمينة...او ان لنا استعدادا لتمزيق أي سكون وتحويل السوق لمجزرة..

كبار السن يجلسون مثقلين بالسعال والرشح يعالجون حالهم..كبار اخرون قانطون..يرمون نظرات خارج التوقعات...صاحب المقهىٰ لا يستقر.. وسيم بالعشرينات تتمركز حركاته بيديه وابتساماته يوزعها مجانا..

سأله من هذه الشاب الذي علقتم صورته اهو قريبك.. (انه صديق).. (ربما رأيته من قبل).. (نعم لقد أعطاك قداحة فِي العام الماضي)..صورة طولية لأنيق..شهيد.. مآذن تقطعها لافتة كربلائية (يا مظلوم كربلاء).. انه يبتسم لي.. هل تعرف علي.. لكنه يستقر واقفاعلىٰ بساط.. اي عقيدة تتخلىٰ فيها عن احلامك لتواجه الرصاص؟! وستظل علىٰ الساتر للأبد..ويواصل اهلك ملحمة الدموع والوقوف طويلا امام دوائر التقاعد..والحياة تجري هنا..فتيات علىٰ محال

الحلوى..وكبار يعالجون سعالهم..ومدّعون..شربة قدح مسرحية للظهور لديهم..صورتان لنفس المرجع الديني بكفن وبلا كفن...علماء بقي طقسهم وفقدت كلماتهم تأثيرها..الان الجميع فِي مجزرة اليأس غاطسون..إياك ان تسأل احدهم عن الغضون فقد حجرتهم النكبات... كبار السن تهدلت اكتافهم..كم ارتفعت زهوا او حملت اثقالا..العيون مطفأة لم تعد تثيرهم الأشياء..بعضهم لم يستسلم من طعنة فإس بل مئات...قاوموا كثيرا قبل ان يشغلهم كيانهم العميق فقط..

رفع احد المجانين يمناه قليلا وقال متوترا: (الزعيم عبد الكريم قاسم) وصمت فاجابه جالس: «الزود العانة فلس!»... هل ثمة احد يبيع الموز بالمفرد؟. يمر أشخاص متفرقون يمضغون اصبع موز واحد..فلما غادر المقهى أبصر صينية موز توزع للمارين..ثوابا كما اسماها صاحب (مقهى العگال).. كان يرتدي دشداشة جوزية وكوفية يثبتها عكال..كثير الحركة غريب السلوك...خيل اليهما انه ببشرته السمراء الحادة يهتم بالجمال الذكري..الشهيد يواصل ابتسامته..حلق بعناية تاركا الذقن...انه يتقدم...تحرسه آيات رسمت ودعاء..واسمه ولقبه..ترى هل إصابته بالرأس او الظهر او الخاصرة..كيف رفت عيونه فِي اللحظات الاخيرة ؟ ملحمة السعال وترشيد الرشح تتواصل..

من خلال النظرات والمظهر والسلوك هل تملك مجهرا لإعادة تصنيفهم وإرجاعهم اليهم فِي الشباب..هذا شيخ بقاط ورباط محاولا ان يتشبث بأناقة مظهره قبل ستين وذاك ينظر العجيزات بشغف..اخر يغض الطرف والبعض يحاول فتح عيون مطفأة.. ويمر كبير بالسن لا يقر بعجلات الزمن..فهو يحتفظ بما تبقى من حيوية الشباب وروحه...هل تستطيع كشف الشيوخ..ذلك المتهدلة سترته هل كان مهملا مظهره منذ مراهقته..!!؟؟

الأسنان المتساقطة والشيب..والحزن المتجذر بالعيون لن يعيدهم للشباب وان حاولوا وقاوموا...مستطيلات متناظرة..ومربعات رسمت بخطوط متنوعة لتضم حكما او تعكس آيات وأدعية ألصقت بجوار لوحة الشهيد الذي ما يزال مبتسما واقفا على بساط مزخرف تتقدمه الورود..وملحمة السعال والرشح لا تتوقف..فيما تمر المراهقات يحلمن ويتذوقن الاشياء..قبل ان تجهز على طموحهن والمشاعر عجلات الزمن.

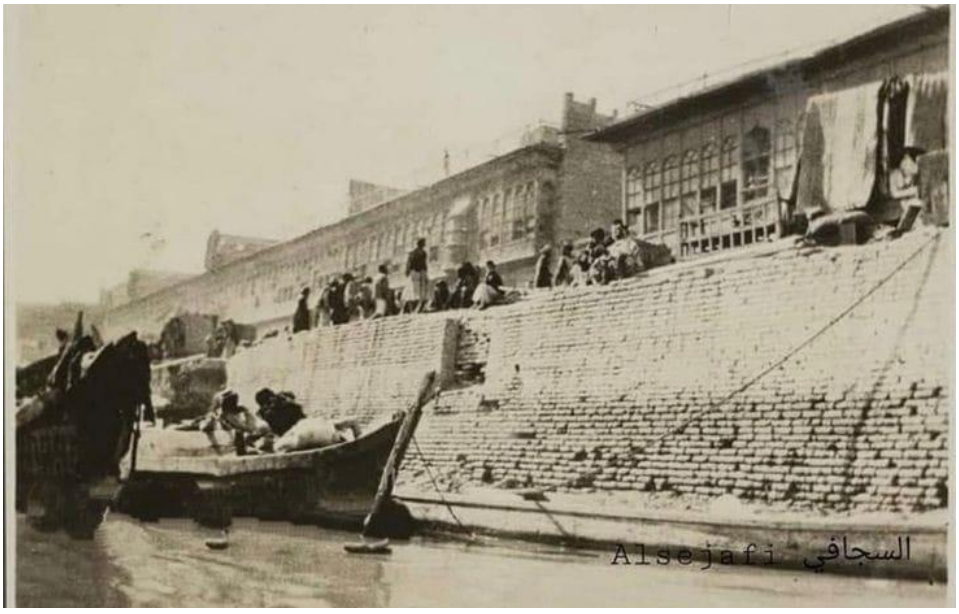

٧. العيد فِي البصـرة القديمة

كتابة الراحل: حميد مجيد المالكي

قبل سماع تكبيرات مساجد وجوامع البصـرة معلنة بدء مراسـيم العيد بيـوم، يكون قد سبقتها تحضيرات واستعدادات عديدة: التنظيف المركز لكل زوايا البيت و فرش السجاد وتجديد الستائر واشعال انواع البخور اسـتعدادا لأسـتقبال الاقـارب والاصدقاء. كـذلك تشـهد محـلات الخيـاطين والخياطـات والحلاقـين والحمامـات الشعبية زخما كبيرا فِي ليلة العيد كذلك يشـهد البيـت حركـة لا تهـدأ كورشـة عمـل لاعداد صواني (الكليچة) وارسالها لأقرب فرن.واحيانا يتطلب الأمر دعما لوجستيا من الجيران لانهاء تصنيع الكليچة الَّتِي تعتبرمن اهم مفردات قاموس العيد.

صبيحة يوم العيد

بعد استلام العيديات من الأهل والاقارب والاصـدقاء وايضـا كسـر علبـة التنك الصغيرة والتي ادخر فيها عدد من القطع النقدية، تبدأ مسـيرة العيد للوصول إلى الهدف المنشود: ساحة الدواليب فِي المشـراگ القديم فهي ساحة العيد الرئيسـية فِي البصـرة القديمة..مرورا بحديقة عز الدين ومقهى ام السـباع وقصـر أل بـاش اعيان.او تسلك طريقا اخر باتجاه عبـود ابـو الدوندرمـه ومدرسـة عائشـة وصـولا لساحة العيد. فكل الطرق تؤدي الى دزني لاند البصـرة. ولا تهـدأ حركـة المـراجيح ودواليب الخشب والفرارات وعربات الحصن الى مغيب الشمس..ويعتريك شـعور كأنك راكب فِي طائرة الايرباص.عندما يصل الدولاب لأعلى قمته. يتخللها تنـاول وجبات الفلافل والعمبة او الفشافيش وشـربت البلنگو...ودوندرمة عبود.لترجـع منهك للبيت وملابسك الجديدة يعلوها التراب والغبـار وحـذاء الباتـا الجديـد قـد تغيرلونه! ولاننسى دخول سينما الرافدين خلف جامع البصـرة فِي السـيف وهـي

تعرض افلام طرزان وسبارتاكوس والكاوبوي. كذلك تحذيرات المرحوم الوالد بعدم الاقتراب من اصحاب لعبة (اللكو) و(فوق السبعة).احيانا تحدثك النفس الأمّارة للاشتراك باللعبة وكسب مبلغ من المال.لكن تحذير الوالد يكون بالمرصاد كذلك قد تذهب أموالك هباءا عندما تقوم الشرطة بمطاردة اصحاب الالعاب ومصادرة الاموال الموضوعة على (الچتري) وهو قطعة القماش الَّتِي تجري عليها اللعبة فنستهزئ بهم عند القاء القبض عليهم باعتبارها من الالعاب الممنوعة:

(هلك وين يابو اللگو

باگو الچتري و علگو)

كنت ارافق المرحوم الوالد عند ذهابه للزبيرلمعايدة اصدقائه هناك وتناول الطعام الجماعي صباح يوم العيد فِي (الفريج) او السكة وهو ما يطلقه اهل الزبيرعلى الازقة او المحلة. احيانا يصادف يوم خميس بالأعياد.وبعد مغيب الشمس قد نشارك او نتفرج على الخوال السمران فِي (المكيد) فِي ساحة السعادة خلف مرقد عزالدين الرفاعي فِي رقصات السامري والقادري او رقصة النوبان..بينما البعض يتجه للدخول الى مرقد عزالدين الرفاعي للتفرج على دروايش التصوف او اصحاب الطريقة كما يسمونهم وهم يدخلون اسياخ الحديد داخل افواههم او يمشون على الجمر..و نحن نردد مع الجمع الجالس مبهورين:

(مدد..مدد...الله حي

الله الدايم..مدد)

دون ان نفقه معانيها لكنه الانفعال الجماعي لرهبة المنظر. بنفس الوقت قد نشترك بمسيرة او زفة لاحد السكارى المترنحين بعد ان تكون ملابسه قد ابتلت

بمياه الخارور اثر سقوطه المستمر وعدم اتزانه وجوقة الاطفال

تردد: سكران بالك عنه

فلوس العرگ مو منه!

الى ان يتم التدخل من الجالسين في مقهى ابو العبد الفلسطيني لإنهاء هذه الاحتفالية. ونتذكر البث المستمرمن راديو وتلفزيون الكويت اغنية المطرب الراحل عوض دوخي (صوت السهارى)

وهو يتذكر احبابه عصرية العيد...

اللهم اجعل أيّامنا كلها أعيادا!

وقد نسيت العربات الَّتِي تجرها الخيول من ساحة الدواليب بالبصرة القديمة إلى فلكة ابو شعير بالجزائر أو لغاية متنزه الخورة والعودة إلى ساحة الدواليب والاجرة كانت ١٠ فلوس لفلكة ابو شعير و ٢٠ فلسا إلى متنزه الخورة

ونحن نردد طول الرحلة

ياسايقنا دوس دوس حتى نطّي... الفلوس!

٨. سوق الهنود.. ذاكرة وتاريخ

المرحوم عبد اللطيف جمعة

هذه التسميات الثلاث لسوق واحد وهو السوق الأثري فِي منطقة العشار بالبصرة، محلة مقام علي. بُني من طابقين، الطابق الأرضي محلات والطابق الأول شناشيل على الأكثر للسكن، فكانت بعض العوائل تسكن فيه. كانت له سمعة محلية واقليمية وعالمية كبيرة والسبب هو وجود محلات لهنود يبيعون كافة أنواع البهارات والبخور والعنبه بأنواعها. وكان لابد لمن يزور البصرة يجب عليه أن يتسوق من هذه السوق، وهؤلاء الهنود يسمون (طائفة البهرة المسلمين) لهم بناية كبيرة ذات طابقين تحتوي على عشرات الغرف تستخدم للسكن ومخزن كبير وساحة فِي الوسط مكشوفة موقعها الركن الشرقي من سوق حنا الشيخ فِي موقع محل أبو عباس للسمبوسة حالياً ومطعم كباب الشمال وقسم كبير من سوق حنّا الشيخ المقابل لمصرف الرافدين، ولهم دكاكين صغيرة من ضمن البناية موقعها على الشارع يبيعون فيها الفلافل والأكلات الهندية الحارّة من شعرية وباكورا وغيرها.

أما حديثنا عن السوق، ففي مقدمته جسر يمتد فوق نهر العشار إلى الضفة الأخرى الَّتِي فيها السوق، وبعد هذا الجسر فِي مدخل السوق نجد على الجهة اليسرى بناية ضخمة مبنية من الطابوق المنجور وفي أسفل البناية طارمة كبيرة وقوس من البناء يمتد مسافة تحت البناية، وأستغلت هذه البناية للبنك العربي وبجانبها بناية ساعة سورين على إسم صاحبها سورين الذي كان يمتلك شركة تجارية، أما الجهة اليمنى فكانت مقهى على النهر وبجانبها مطعم وأمام المقهى فندق

البلاد ثم تأتي محلات على الجانبين من الشارع الذي يمتد حتى تصل نهايته إلى جامع المقام وهذه المحلات تباع فيها انواع التبوغ ومواد الزراعة والمواد الغذائية ومحلات لبيع الأسلحة وهو سوق مسقّف.

الجهة اليمنى من السوق

نعود الى داخل السوق ونبدأ من الجهة اليمنى حيث بناية ذات طابقين (فندق البلاد) وبعده تأتي محلات لبيع البهارات للهنود وبعدها صيدلية العراق لصاحبها إبراهيم ريحان، ثم محل خياطة حميد علوان وبعده محل كماليات ثم محل خياطة محمد صالح قدوري ثم محل لبيع الساعات ثم محل جاسم العامر لبيع المواد الكهربائية وبعده يأتي محل لبيع الأقمشة وبعده محلان لبيع الساعات ثم محل بيع الكهربائيات لعائلة معارج، ثم محل باتا لبيع الأحذية وكان صاحبه الأخير المرحوم محمد السواد، ثم مكتبة كاظم العلي ثم محل زلخة لبيع الزجاجيات، اليهودي الذي أعدم فِي ساحة ام البروم فِي شتاء سنة ٦٩ يليه محل المرحوم عبدالصمد الحجاج أخ المرحوم القاضي حاتم الحجاج لبيع الأقمشة والستائر، وبعده محل الكماليات ثم تأتي صيدلية حامد عبدالرزاق السبتي ثم تأتي أربع محلات للهنود كلها تبيع البهارات والبخور والعنبة والشموع بأنواعها وبعدها يأتي محل لبيع الحقائب ثم معرض لأحذية زبلوق وكان هذا الرجل وأسمه نعمان زبلوق مدرساً للرياضيات فِي ثانوية البصرة (الإعدادية المركزية) بالخمسينات، وبعد فترة انتقل معرضه الى شارع الوطن. ومن بعده هذا نقف امام محل لبيع الملابس والجواريب للرجال لصاحبيه محمد سعيد وجاسب، ثم يتفرع الشارع إليثلاثة فروع: الامامي الى سوق الذهب او شارع الصيادلة وشارع إلى اليمين ينتهي إلى شارع جامع المقام وهذا الشارع على جانبيه محلات تبيع الملابس والقماش والكماليات وقريب نهايته تباع فيه الأدوات الكهربائية والمائية والنجارية

واشياء اخرى، والشارع الذي على اليسار تستمر فيه المحلات وعيادات الاطباء والصيدليات حتى موقع شارع الكويت حالياً.

الجهة اليسرى من سوق الهنود

تبدأ هذه الجهة ببناية البنك العربي وساعة سورين وأمام هذه البناية يمتد قوس من البناء بالطابوق على شكل سقف يصل إلى خلف البناية الذي هو شارع الكويت حالياً. ثم يبدأ السوق بمحل لبيع الساعات وبجنبه محل لبيع الكماليات ثم محل السيد عبد الكريم ابو غازي لبيع الملابس الداخلية والقمصان، وبعده محل لبيع الأدوات الكهربائية ثم محل بيع الشربت لصاحبه جبار، وبجانبه على الفرع الذي يؤدي إلى شارع الكويت محل فائق لبيع السجاد، وبعد سفره إلى الخارج أصبح مكانه مكتبة سمير للقرطاسية. وفي المقابل لمحل الشربت توجد بسطية فِي الأرض لبائع الجرائد وشاح حمود، وفي المقابل لها على الجهة اليمنى وفي مدخل سوق التنكجية توجد بسطية لبيع الجرائد تعود إلى عبدالله الشاوي، ثم يأتي محل السلطان للأنتيكات فِي الجهة اليسرى ثم معرض الكواكب لبيع الملابس النسائية والاطفال والهدايا لصاحبه ذيبان وبعده محل مصلح الساعات ابو رحيم وبعده مكتبة الجميع لصاحبها الياس، ثم تأتي صيدلية المدينة لصاحبتها المرحومة آمال عبدالقادر الملاح زوجة المرحوم الطيار خالد شفيق، ثم يأتي محل لبيع الساعات وفرع صغير فيه مقهى المعلمين ينتهي الى شارع الخياطين ثم صيدلية بابل تكون مقابل معرض عبد معارج للكهربائيات وبجنبها معرض بغداد لبيع الأحذية بأنواعها لصاحبه الحاج حسين السامرائي أبو غازي. وبعد المعرض الصيدلية الوطنية لصاحبها الحاج صادق القيسي أبو رياض ثم محل لبيع الأقمشة المتنوعة لصاحبه الحاج عبدالحميد السامرائي أبو كمال وبجنبه محل لبيع القرطاسية وبعده محل لبيع الاقمشة للحاج

شاكر السهيل ثم يأتي فرع صغير ينتهي الى الشارع الموازي للسوق فيه محل فرج لصناعة القهوة المحلية وبالمقابل معرض كبير لبيع لعب الأطفال والهدايا ثم نعود لشارع السوق لنجد معرضا لبيع انواع الأقمشة والستائر لصاحبه الحاج إبراهيم جارالله وبعده تأتي مكتبة الحاج أحمد شعبان، ثم محل لبيع الحقائب وبعده محل لبيع الساعات ثم يأتي فرع صغير فيه عيادات للأطباء ومقهى وفي بدايته صيدلية شط العرب لصاحبها المرحوم يوسف المناصير وقد تدرب فِي هذه الصيدلية إثنان من الصيادلة هما الحاج داوود يحيى والمرحوم عبدالرزاق حسن كبه الذي كان زميلي فِي المتوسطة. وهذه الصيدلية (شط العرب) أصبحت ملكاً للحاج داوود يحيى بعد أن تخلى عنها المرحوم يوسف المناصير، وأما المرحوم عبد الرزاق فقد فتح له صيدلية باسم صيدلية الشعب فِي بداية الشارع الذي ينتهي بشارع الكويت وبجنب صيدلية شط العرب يوجد معرض كبير للأحذية على انواعها باسم معرض أحذية دجلة، وبعده يأتي محل لبيع الحقائب ثم يتفرع الشارع فرع للأمام فِي بدايته صيدلية المختار ثم صاغة الذهب. أما الشارع الفرعي الذي على جهة اليسار والذي ينتهي بشارع الكويت فيه مجموعة من الأطباء منهم الدكتور توما هندو والدكتور عبد الجبار الشمخاني والدكتور يعقوب بني والدكتور ابراهيم عبد الحميد، وصيدلية الشعب ومختبران للتحليلات وفي القسم الآخر من هذا الفرع توجد محلات لبيع الحقائب والكماليات والملابس، أما الفرع الذي على اليمين فقد سبق وأن ذكرت بأنه ينتهي بشارع المقام الرئيسي.

هذا الشرح المبسط للسوق سبق وأن تم الطلب عليه من بعض الأخوة لذا فأني كتبت فِي هذا الموضوع وقد اعتمدت على ذاكرتي فقط الَّتِي تمتد الى اكثر من ثمانين عاماً، لذا أقول أنه لابد من وجود اخطاء بسيطة قد لا تؤثر على الشرح

ككل، ارجو المعذرة من جميع الأخوان وأريد ان اوضح ايضاً أن المقصود هـو التقيـد بالمسافة للسوق الَّتِي تمتد من الجسـر وداخـل السـوق وحتـى التقـاطع للشـارع ولا يشمل الفروع والأماكن الأخرى لأن هذا قـد يجرنـا إلى مسـافات طويلـة ومتشـعبة وحكايات لها بدايات وليس لها نهايات.

٩. جزيرة السندباد

شهر العسل بين السندباد وشط العرب

منقذ داغر

اذا كان يخت الثورة الذيسبق وأن تحدثت عنه هو قبلة النخب الَّتِي تزور البصرة،فأن فِي مربع جزيرة السندباد الذهبي ما يمكن ان يكون مقصداً سياحياً وجمالياً لفئات اخرىٰ من العراقيين. وهنا اسأل جميع من تزوجوا فِي فترة السبعينات من القرن الماضي من الطبقة الوسطىٰ فِي العراق،أين قضيتم أو كنتم تتمنون أن تقضوا شهر العسل؟ يقيناً هناك نسبة كبيرة ستجيب، مدينة الاعراس فِي جزيرة السندباد! لقد بدأت النهضة العمرانية الحقيقية لجزيرة السندباد فِي عهد المرحوم مزهر الشاوي مدير عام الموانئ فِي بداية الستينات. وتضمن مشروع تطوير الجزيرة (في نهاية الستينات) بناء قرية من الشقق السكنية علىٰ طراز معماري حديث فِي الركن الشمالي من الجزيرة ترتبط بها حدائق غناء وكازينو حديث ومدينة العاب صغيرة. هذه الشقق كانت اشبه بفندق خمس نجوم مخصص لقضاء شهر العسل والاجازات القصيرة والتمتع بطبيعة الجزيرة الخضراء خاصة فِي فصلي الربيع والشتاء. آنذاك لم يكن أحدا يعرف (زرق ورق) دبي ولا أي مشتىٰ سياحي فِي المنطقة سوىٰ البصرة. وأذكر كيف ان أقربائنا ومعارفنا كانوا يطلبون من اهلي التوسط لحجز غرفة لهم فِي مدينة الاعراس الَّتِي بنيت فيما بعد مدن وقرىٰ سياحية مماثلة لها فِي بغداد وبعض المحافظات.وحتىٰ بعد ان تم بناء المرحلة الثانية من الشقق وتضاعف عددها لم تكن قادرة علىٰ استيعاب كل الطلبات نظرا لجمالها وتوفر كل وسائل التسلية والراحة الَّتِي

تتيح قضاء شهر عسل لا ينسى فيها. ففضلا عن الشقق الفخمة والخضرة الدائمة والماء الحيط بالجزيرة فان ما فيها من كازينوهات والعاب كان يجذب معظم سكان البصرة الذين تغص بهم حدائقها بخاصة بعد المغرب. ومما ساعد في رواج مدينة الاعراس انه لم يكن يفصلها عن مطار البصرة الدولي سوى جسر (هيل) الخشبي الجميل. فكانت الوفود (بضمنها وفد مهرجان المربد بشعرائه العرب الكبار في ١٩٧١ والوفود الرسمية الاخرى والعرسان كانوا يقصدونها عن طريق الجو، او حتى عن طريق القطار الذي لم تكن محطته تبعد اكثر من عشر دقائق بالسيارة.

ضلع اخر

هنا أشعر أنه لابد ان اعرج على الضلع الاخر في المربع الذهبي المحيط بجزيرة السندباد وأقصد مطار شط العرب وفندقه الرائع. ذكرت سابقا ان مطار شط العرب كان من اكبر واوائل المطارات في المنطقة. وعندما انشأه الانكليز في بداية العقد الثالث من القرن الماضي كانوا يدركون اهمية موقع البصرة الرابط بين الشرق والغرب. لذلك فقد كانت هناك ٩ شركات طيران عالمية (مثل بان اميريكان) تسير رحلات بين البصرة واهم مدن العالم، في الشرق الاوسط واوربا واستراليا وامريكا. وحينما جيء بالمهندس البريطاني الذي صمم الفندق الرائع في بومباي ليبني واحدا مثله ملحقا بمطار شط العرب، صمم ان يدخل بعض اركان الهندسة الاسلامية على مبنى مطار شط العرب فكانت الاقواس والقبب والموزائيك الفيروزي والطابوق البغدادي، أهم مايميز بناية الفندق الذي تتسع مبانيه لاكثر من ١٠٠ غرفة وجناح جميعها مكيفة ومزودة بحمامات خاصة. كما كانت ارضيات الفندق مكسوة بالباركيه اللماع. وأذا كنتم تعتقدون ان ذلك امر طبيعي الآن فأنه لم يكن كذلك آنذاك، اذ لم يتعود العراقيون، لا بل حتى الانكليز مثلهذا المستوى من

الترف والانفاق فِي البناء.

١٠. رواسة الداكير

مهدي نمرالكناني وطلال التميمي

الرواسة شبه جزيرة،في موقع شديد الروعة. وهي تتكون من التقاء ثلاثة انهر هي الداكير والخندق وشط العرب.والمنطقة السكنية فيها كانت تتكون من ٤٨ دارا،تقطعها ثلاث (درابين) لاتتسع الواحدة منها لمرور سيارة صغيرة،إضافة إلى شريط من البيوت على طول نهر الداكير. وكذلك تتكون من عدد من جراديغ التمور واسياف الحبوب والمعامل،وهي من جهتها الغربية تتبع إلى القشلة ومن بقية الجهات الى الداكير.

يحدها من الغرب شارع الاحرار (الملكة عالية سابقا) والذي يربط بين جسري المقام والخندق. ومن الشمال نهر الخندق والشرق شط العرب ومن الجنوب نهر الداكير(والذي كانت مياهه عذبة طالما كنا نسبح ونتصيد السمك فيه).وقد أزيلت المنطقة تماما عام ١٩٧٧، وبني مكانها كراج القرنة الحالي وعلاوي المواد الغذائية.

جاءت تسمية (الرواسة) من رؤوس سنابل الحبوب (الحنطة والشعير، والتي كانت تصفى وتعزل فِي المنطقة بواسطة الغرابيل (وهي الة يدوية العمل،تقوم بعزل الحبوب عن رؤوس السنابل).حيث تستعمل هذه الرؤوس كعلف للحيوانات.وكانت (الرؤوس) تغطي ارض المنطقة،بحيث ترتفع هذه الأرض كل عدة سنوات، بسبب طبقات هذه الرؤوس الَّتِي تتطاير من الغرابيل أثناء عملها.

وهناك حالتان تأتيان فِي بال أهالي المناطق الأخرىٰ عند ذكر الرواسة. اولهما: التهريب، حيث كانت هذه المهنة الأساسية لأغلب أهالي المنطقة، مثل تهريب الشاي والسكائر الأجنبية و بآلات الملابس المستعملة والمشروبات إلىٰ ايران والتي كانت تجلب من الكويت. وتهريب (الكعيبر) من ايران. والكعيبر كلمة تطلق علىٰ الإيرانيين والافغان المهاجرين إلىٰ العراق والخليج للبحث عن العمل ولكن بدون جوازات سفراو أوراق رسمية.

والحالة الأخرىٰ الَّتِي تأتي فِي البال،هي اعتقاد البعض أن أهل الروس (وهذه تسميتهم الدارجة)، إنما هم أهل مشاكل وعراك. ولكن فِي الحقيقة أن أغلب مشاكلهم كانت مع رجال الجمارك والقوات الأمنية وأفراد حزب البعث. ومثال علىٰ ذلك المرحوم فياض الفياض الملقب (حنتاو) والذي يعد من اشقياء البصرة. فهو لم يدخل فِي نزاع او مشكلة مع احد من أبناء المنطقة او الناس المسالمين،إنما كانت مشاكله مع القوات الأمنية واشقياء البصرة إضافة إلىٰ ضباط وحدته العسكرية، وبالفعل فقد قتله احد افراد الانضباط العسكري وهو فِي العشرينات من عمره.

من شخصيات المنطقة

من شخصيات المنطقة الممثل الرائد كامل الازرقي (الخال فِي قفشات محمد قاسم) ورجل الأعمال المعروف المرحوم جبار شغيت (صاحب فندق مناوي باشا.) وفي الجهة الأخرىٰ من شارع الأحرار كانت هناك دربونتان الأولىٰ نسميها دربونة الصبة، حيث كان يسكنها أصدقاؤنا الرائعون من الصابئة الذين كانوا إضافة إلىٰ المسيحيين،زهرات المنطقة الفواحة.، والأخرىٰ نسميها دربونة (حجي جاسم)، حيث كان يسكن الشاعر الكبير والموثق والمترجم حيدر الكعبي. وفي المنطقة كان هناك مخبزان للمرحومتين أم عباس وام طالب. كذلك كان هناك الحلاق الشعبي

(حنوف) والذي يتوسط محله مجموعة محلات حدادةالمساحي والمناجل والكواريك الحديدية (جمع كاروك) مثل الحداد عباس ابو راضي وكاظم ابو جواد. وغيرهما. كذلك كان هناك حسينية وجرداغ حجي جيتا والذي تحول بعد إعدامه فِي نهاية الستينيات إلى علاوي المخضر والرقي والبطيخ(عشر) بعد تهديم العشر السابق على نهر العشار لبناء عمارتي الزيوت والجنسية.

كذلك هناك معمل نجارة الاسطة حجي وهيب (والد المخرج الكبير محمد وهيب) والذي يتميز بسدارته البغدادية وتعامله الرائع مع الزبائن واهل المنطقة. وكذلك هناك طاحونة عبد السلام الرمضان، لطحن التوابل،والتي كانت رائحتها تعطر المنطقة .وكذلك اسياف عبد المحسن العاتي التميمي ونمر الكناني وعبد السلام الرمضان والحاج شغيت منصور (والد جبار شغيت) وشقيقة الحاج عاتي وبيت الذكير وسيف جمعة العبادي وبيت المهيدب وجاسم النجدي. وكذلك اندرويز(هندرويت حسب التسمية الدارجة) وبيت داود جوري.. وعلى طول شارع الاحرار على الجهة اليمنى كانت هناك عشرات من محلات خياطة اكياس الجنفاص لأكساء الحلانات الَّتِي تصنع من خوص النخيل ليعبأ بها التمر الزهدي الذي يصدر إلى الخارج. وعلى امتداد الجهة اليسرى كانت هناك محلات بيع الأسمنت والأخشاب، مثل محل عواد الحاج حاتم صاحب فندق المربد ومحلات بيت السلمي. وكذلك كان هناك فندق الكوثر والذي كان يزهو بزبائنه الكويتيين والخليجيين، والذي تحول الان إلى خرابة ومكان لخزن البضائعوعند مدخل المنطقة كانت هناك ساحة كبيرة للعربات الَّتِي تجريها الخيول لنقل البضائع، والتي تستخدم فِي العيد لنقل وترفيه الأطفال.

بيت كريك

يستحق بيت كريك أن نخصص له مكان فِي هذه المقالة.لكونه تحفة معمارية ويقع فِي شبه جزيرة زاويتها الجنوبية مقدارها صفرا تقريبا. وقد بني على طراز بيوت الريف الانكليزي ويعود للمواطن البريطاني نورمان كريك.وتحيط به الزهور من كل مكان.ويقع فِي الجانب الشرقي لنهر الخندق (بيت أصفر)وكربك هذا جاء مع اول دخول للإنكليز للعراق، فأحب البصرة وأهلها واحبوه.وعمل فِي شركة نفط البصرة وفي التجارة. وكان يقطع المنطقة يوميا ذهابا وايابا مشيا على الأقدام، وكان الأطفال يستقبلونه بـ(هلو كريك) فيقوم بأعطاء كل واحد منهم خمسة او عشرة فلوس. وكان ابنه جارلس نورمان كريك صديقي وزميلي فِي الصف فِي متوسطة المربد. وطالما اخذني معه لبيتهم التحفة.. وقد وصف الأستاذ احسان وفيق السامرائى البيت بقوله:انه تحفة تجتمع حولها الأزهار والغابات الاستوائية لتكون غاليري مفتوح على الهواء، يجتمع عليه التشكيليون الأوروبيون ليرسموا فضاءه الأخضر.

وعند هجرة كريك فِي السبعينات،سكنه سيد مهدي الموسوي،صاحب محلات المواد الزراعية. وقد غدا اليوم اطلالا.. هذه مقالة مختصرة ارجو من اخوتي إضافة ما يعرفونه عن المنطقة،والا لو توسعت لاحتجت إلى صفحات وصفحات وهناك عشرات المشاهير من المنطقة لا يتسع الوقت لذكرها.. والا هل يمكن أن ننسى بيت زاير هادي الشويلي وهو علم اجتماعي كبير،و والد الفنان الرائد الأستاذ صالح الشويلي النقيب الاسبق لفنانين البصرة.او بيت بدر اللعيبي (ابو هلال) السابق قبل أن يسكنه عبد الواحد الكشاف،او بيت خضير الماطورجي، شقيق الفنان الكبير محمود ابو العباس.

القسم الثالث

03

محطات صغيرة

١. مــن اعــلام البصـرة

الوجيه انيس الوكيل(*)

* من مواليد ١٩٢٩.
* اكمل دراسته الابتدائية والثانوية فِي زاخو والموصل.
* مارس التدريس فِي البصـرة كمعلم فِي المدارس التالية:مدرسة المربـد مدرسـة الابلة، مدرسة السـيبة.
* كان اول سكن له فِي شارع ابو الاسود ومن ثم الحي المركـزي وبعـد الـزواج سكن البريهة شارع فندق حمدان قرب بيت حسو وعضيد جـزراوي وبعـدها محلة الكزارة فرع مصـرف الرهون خلف فندق رغـدان مباشــرة. ومـن ثـم السكن بفرع معهد الإدارة القديم ومن ثم مناوي باشا خلـف المقـبرة ونـادي الشـروق امام بيت الدكتور فتاح وصباح زكريا واسامة محمد صالح قـدوري الخياط.. اكمل كلية التجارة المسائية / المستنصـرية فِي البصـرة عام ١٩٦٨.
* تم منحه دبلوم اقتصاد فخرية من جامعة موسـكو...١٩٥٩.. ضـمن الوفـد

(*) نقلا عن ابنه بسمان انيس الوكيل.

الاقتصادي العراقي عام ١٩٥٩.

* تم منحه شهادة الدبلوم العالي من جامعة بغداد للعلوم الاقتصادية وذلك لطرحه فكرة تأسيس سوق بغداد للأوراق المالية عام ١٩٩٦.
* عضو بيت الحكمة.
* عضو مؤسس لسوق بغداد للأوراق المالية.
* عضو نقابة المحاسبين العرب والعراق.
* عضو نقابة المدققين العرب والعراق.
* عضو جمعية الاقتصاديين العراقية.
* عضو جمعية الاقتصاديين البصرة.
* عضو اتحاد المقاولين العرب.
* عضو جمعية المقاولين العراقيين.
* عضو غرفة تجارة البصرة رقم ٤ عام ١٩٥٣.
* مدير شركة بيت الوكيل.
* مدير شركة اوتوكار بصرة لاستيراد السيارات الانكليزية..شارع أبو الاسود وشارع الوطن. فورد اوستن موريس زفير..لوريات ثايمنز.....١٩٥٥-١٩٦٣.
* اول مستورد لبطاريات فارتا و اطارات كود يير.
* اول مستورد لشمعات القدح انجيكو.

* اول مستورد لبوربرنك اس كي اف فِي البصـرة.
* خبير اقتصادي بشؤون الاقتصاد والمال.
* شارك بالكثير من الندوات والاجتماعات والمؤتمرات داخل البصـرة والعراق وبعض الدول.
* صاحب مكتب الشهب للأعمال الهندسـية فِي البصـرة حيث قام تبليط الساید الثاني لشـركة نفط الجنوب مع شـركة اولاد بيت حمود واعمال صيانة وتنفيـذ وزارة العدل والحكم المحلي ببغداد واعمال قبة البرلمان ١٩٩٢ وعمليات ربط المجاري وتنفيذها فِي جميع دوائر البصـرة.
* صاحب فكرة مشـروع المنطقة الحرة بخـور الـزبير مـع الـدكتور بسـطام تـم تكريمه من قبل وزارة الإسكان والمجلس الوطني العراقـي بكتابـه الشـهير.. القضاء على ازمة السكن والعراق وتحديات القرن ٢١.
* عضو المجلس الاقتصادي العربي لشؤون المال.
* اول من دعا لحذف الاصفار من الدينار العراقي.
* احيل على التقاعد عام ١٩٧٨.
* انشأ اول دار حضانة / الحنان الخاصة فِي البصـرة عام ١٩٧٩.
* صاحب اقدم سـيارة فِي البصـرة موريس ماينر الانكليزية عام ١٩٥٢ ورقمها ٥٢٣.
* توفي ببغداد سنة ٢٠٠٤.

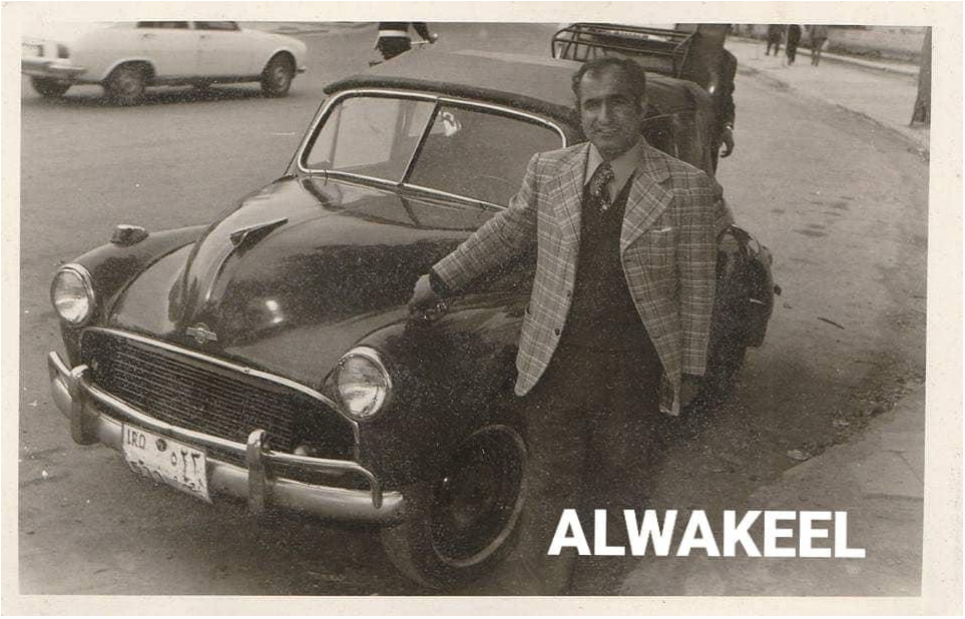
ALWAKEEL

٢. عاشق السيدة

كان نهارا شتائيا دافئا حين امتطى دراجته الهوائية وعرك زر المذياع المدلى من دفة السكان ليتدفق صوت السيدة بأغنية منحته احساسا لم يسبق وأن عاشه من قبل بمثل هذه الدرجة من الانتشاء مع أي صوت غنائي آخر سواء كان نسائيا أم رجاليا. وحين غادر ربيع شبابه صار مدمنا على الاستماع لصوتها اللؤلوي الممتزج مع ابلغ الألحان وأرق الكلمات فاشترى مكتبة احتوت على مئات الاسطوانات والأشرطة كان جلّها مكرسا لأغنيات السيدة. أدمن الجلوس فِي مقهى بشارع المطاعم بالعشار اعتادت الة التسجيل فيه ترديد اغانيها المطولة حتى فكر فيما بعد بالسفر الى القاهرة كي يحضر ولو حفلة خميسية واحدة من حفلاتها الغنائية فِي قاعة الأزبكية. وسافر بالفعل الى القاهرة ليسكن احد فنادق العاصمة المصرية ليكتشف ان الحفلة كانت قد أقيمت فِي الليلة السابقة لتاريخ الوصول بمعنى انه وصل متأخرا فانتابته حالة من الكمد لكنه سرعان ما كبح جماح لهفته معللا النفس بانتظار الحفلة الَّتِي ستقام فِي مطلع الشهر، إلا انه علم فيما بعد أنّ تلك الحفلة كانت حفلة السيدة الأخيرة بحكم تردي صحتها فازداد شعوره بالاكتئاب وأسرع بالعودة لمدينته لينزوي فِي المقهى الذي كان يحمل اسمها حيث يندفع غناؤها من مسجلة المقهى متراقصا مع دخان لفائف التبغ وغلالات المصابيح المرقشة بالحشرات، وحين علم بعد سنتين بموت السيدة، توقف عن ارتياد المقهى ثم اعلن احد جلساء المقهى بأن سقف الغرفة الَّتِي يقيم فيها قد انهار على المكتبة الَّتِي تضم رفوفها أشرطة واسطوانات تهاوت هي الأخرى على بدن العاشق لتنال منه مقتلا!

٣. اتبع النهر(*)

بانتهاء شارع الكورنيش انتهت نزهة الأقدام. يمما صوب نهر متفرع من نهر المدينة الكبير. انتزعت المرأة قبضة من أوراق خريف ناثرة إياها على شريط كونكريتي مبتور كان يطل على النهر وقعدت عليها. رفرفت خصلات فضية من شعرها من تحت منديل رأسها الأزرق المرقش. انهمكت بطي جوربيها اللحميين الى أسفل. كان الرجل قد توغل بضع خطوات إلى الأمام ثم ما لبث أن اقفل عائدا أدراجه إلى حيث كان مقعية:

- الحذاء؟
- ضيق على قدمي.. افسد نزهتي!
- لا بأس.. استريحي..

مسد شعر رأسه الأشيب الخفيف. اومأ لزورق كان يدنو من ضفة النهر فيما راح البلام الطاعن فِي السن يحرك مجدافين صغيرين. كان ذلك الزورق، على الرغم من التحويرات، من سلالة الأبلام العشارية الَّتِي كان تمخر فِي الأيَّام الخاليات عباب الماء منسلة فِي خفة كالزمان، غير انه بدا اصغر حجما. تأوهت المرأة:

-ليتنا نعود للبيت.. أنا مرهقة..

-لكن نزهتنا الحقيقية لم تبدأ بعد..

---

* ورد هذا النص القصصي في مفتتح مجموعتي القصصية المسماة (إتبعِ النهر) م.س.أ.

-أنا دائخة وأشعر بالعطش..

ناولها قنينة الماء البلاستيكية:

-هل قست درجة السكري؟

-آه.. لقد غفلت عن ذلك!

كانت ترتدي جاكيتة بلون الكاكاو على تنورة خضراء من القماش الثقيل وتمسك حقيبة نزهات من الجلد المتقشر.

أعلن الرجل وهو يشدها من يدها:

- هيا بنا.. هذه المرة الى نهر طفولتنا وصبانا.. هل تذكرين نزهات الأمس؟

-أعرف النهر كما أعرف راحة يدي من حكاياتك: انس.جن. مردة. سعالي.. زوارق من ورق.. لكن ان نختتم نزهتنا بهذه الشاكلة.. ؟!

اومأ ثانية للنهر:

-هذه المرة ليست غايتي التنزه..

-ما غايتك اذن؟

-استعادة عدن مضاع.. هدفي هذه المرة ان اتبع النهر..

-لا أفهم..

-هدف جولتنا المائية هذه هو ملاحقة النهر.. اعرفه جيدا عند المبتدأ.. لكنني اجهل مآله.. اين سيصل وكيف سيكون عليه حين يصل الى خاتمة المطاف.. كيف سينتهي..

أطلقت ضحكة خافتة:

-وإذا افترضنا انه سينتهي عند سواحل الفاو..

-ليكن.. لكنه لن يفعل.. هذا النوع من الأنهار يخشى التماس مع البحر!

جلسا متقابلين فِي وسط الزورق. التفت الى الملاح العجوز:

-هيا بنا أبا يعقوب..

طعن مردي البلام الهرم خاصرة الضفة فاندفع الزورق الى عرض النهر.

***

حين اجتاز البلم أول الجسور المقامة على النهر اكتفى بأن أعلن فِي اقتضاب:

-تحت هذا الجسر كدت ان أموت غرقا..

-كان درسا بليغا.. أليس كذلك؟

-كان عناقا مع العدم..

-آهِ من بلاغة عباراتك!

أخرج من حقيبة المتاع ثلاث شطائر وثلاثة أقداح. ناول البلام شطيرة وصب له ولزوجته شايا من البراد. عاد للحقيبة مطلعا منها جهاز تسجيل صغيرا فِي الحجم. دعك احد أزراره فانطلقت أغنية. تدخل البلام وهو يرتشف شايه على نحو مسموع:

-أللهِ.. الجندول..!!

-كيف عرفتها..

-كان مذياع المقهى يبثها.. وكنا نسمعها فِي السينما بين الاستراحات..

اجتاز البلم ثاني جسور النهر. أشار الى بيت واسع الأرجاء:

-اشتراه احد أثرياء الحروب بعدما كان بستانا حافلا بأجود التمور وبالراح

والريحان والآس والياسمين!

-والآن؟

-مات صاحبه وصار من نصيب ورثة اكثر تكاسلا من تنابلة السلطان!

اندفع الزورق انما بسرعة اقل على الرغم من ان ضربات المجدافين اشتدت حتى نضحت رقبة البلام المتغضنة بالعرق .. كان النهر يزداد ضيقا كلما توغل الزورق غربا. البساتين المطلة على النهر كانت اقل كثافة واشتباكا باشجار النخيل. اشرأب بعضها مبتور الهامات او محترق الجذوع او صريعا عند مداخل الرواضع والجداول الأضيق تدفقا. كانت البساتين قرعاء!. لم يجد البلام مناصا من ان يتوقف هاتفا:

-لا أستطيع مواصلة السير..

-لكنه أوان المد..

-هذا جيد لكنه غير كاف.. انظرا هنا وهناك الى الغوارق والمعرقلات..

مروا بإطارات شاحنات عملاقة كانت تتوسط ماء النهر الضحضاح، جثث كلاب وعشرات من القناني البلاستيكية. اطفأ آلة التسجيل متسائلا: - والحل؟

اقترح البلام:

-ان نغادر البلم ونسير بموازاة الطريق العام حتى جسر معمل الثلج.. ثمة زورق آخر اخف قشرة وأصغر حجما..

-لا بأس..

تأوهت المرأة بصوت خفيض غير انها لحقت بزوجها و البلام. وبعد مسيرة دقائق انحدر الثلاثة الى النهر ثانية حيث كان الزورق الثاني فِي انتظارهم. لقد ضاق

النهر فأضحى محض شـــريط لا يتجـاوز فِي العـرض ثمانيـة الأمتـار بينما تراجعـت القهقرى أشجار الدفلى و الخرنوب وحلفاء الضفاف. اختفت أو كادت لتحل محلها ضفتان إسمنتيتان منيعتا التحصين على الجانبين.

دفن الرجل ناظريه فِي ماء النهر. أبهجه مشهد أسـراب مـن السـمك راحـت تتراشق هنا وهناك فِي نسـيج الماء. كان فِي الحقيقة صنفا صغيرا من الأسـماك إضـافة إلى انه كان يميل للسواد.

اجتاز الزورق محطة لغسـيل السـيارات بصقت أدرانها من شحوم السـيارات الى جوف النهر مبقعة الضفة الإسمنتية. هز الرجل رأسه:

-كيف كنا..!

بعد أن اجتاز الزورق محطة الغســيل انحـرف باتجـاه الجنـوب مكـبلا دونـما انقطاع بضفاف الاسمنت. بدا وكأنه مجرى مـائي تـم شـقه ضـمن مشــروع إرواء صناعي.. ثم ما لبث ان استحال الى ذنائب وسواق و خوارير ليضيع وسط البساتين المهجورة الَّتِي قوضتها المجرفة والفأس.

إذ ذاك هتف الرجل الأشـيب ملتمسا من صاحب الزورق ان يتوقف:

-لنغادر النهر الى البر.. أحسب ان النزهة.. نزهتنا قد انتهت!

٤. اسعار أيَّام زمان.. الستينات وبداية السبعينات

كانت اسعار الستينات والسبعينات تختلف اختلافا كبيرا عن اسعار اليوم والاسباب معروفة، وفيما يلي قائمة ببعض السلع الضرورية والكمالية من اجل المقارنة ليس الا:

* دور سينما ١١٠/ ٧٠/ ٤٠ فلس.
* لفة سمبوسة ٢٥ فلس.
* ماعون كبة ٤٠ فلس.
* قلم جاف نوع بك ٢٠فلس.
* كيس حب احمر وابيض ١٠ فلوس.
* شيش تكة ٢٥ فلس معلاك ١٥ فلس.
* ماعون كص ١٢٥فلس.
* نصف دجاجة مشوي ٣٥٠ فلس.
* كلاص لبن + ماعون تمر ٣٠ فلس.
* كاسيت تسجيل ام كلثوم ٤٠٠ فلس.
* جيس جقجق او باصورك ١٥ فلس.
* باص مصلحة ١٠ فلوس.
* ماعون باجة من العربانة ٤٠ فلس.

* تمن مع مركة حواصل دجاج ١٥٠ فلس مطعم ابو ستار.
* تشـريبة هوا ٢٠ فلس.
* بطل ببسـي ١٥ فلس.
* كتاب المنتمي واللامنتمي لكولن ولسن ٣٠٠فلس.
* المملكة السوداء مجموعة القاص محمد خضير ١٢٥ فلس..من مكتبـة فيصـل حمود.
* عربانة الخيل ١٠ فلوس لسجن البصـرة او المستشفى الجمهوري.
* ماعون فشافيش ١٠ فلوس..
* ٢٠ فلس كوي اوتي للقطعة الواحدة..
* قلم حبر باركر علامة ٢١ او ٤٥ بدينار وربع..
* مجلة الموعد والشبكة اللبنانية ٢٠٠ فلس..
* مجلة افاق عربية ١٠٠ فلس.
* عطر ارامس ريف دور.كلامور.دينارونص..
* حلاقة رأس موشـيخ ٢٥ فلس..
* صابون لوكس..كاميه بالموليف ٥٠ فلس.
* خبز اعاشة ٥ فلوس.
* خبز تجاري ١٠ فلوس.
* كارتون زبيدي ١٦ كيلو بـ ١١ دينار من مصلحة المبايعات الحكومية..
* بدلة رجالية اجنبية ١٨دينار ثلاث قطع من الاورزدي..

* ساعة اورينت، سايكو، ستزن ٣٠ دينار من الأجهزة الدقيقة فِي شارع الوطن..
* مطعم علي بابا فِي شارع الوطن وكازينو ١٤ تموز على الكورنيش لم نجرؤ على دخولها لارتفاع الاسعار. والبديل همبركر ابو نادية بشارع الوطن او مطعم كباب كويسنجق بشارع المطاعم..
* قالب ثلج من جبار ابو طالب ابو الثلج ٤٠ فلس قرب مطعم كباب المركزي فِي البصرة القديمة..
* بطل حليب وطاسة روبة ٢٥ فلس واصل للبيت من (غنيدة) ام الروب.
* ماعون شوربة من حجية امل قرب مقهى ام السباع ١٥ فلس..
* بيض بط ودجاج ١٠٠ فلس للدرزن من ام عايشة قرب مرقد عزالدين.
* قطعة كاهي من العربانة ٢٥ فلس قرب الدهان والانصاري.
* تبديل كعب ودبان حذاء ٥٠ فلس من مصطفى الكردي..
* تذكرة طيران من البصرة لبغداد ٨ دنانير على طائرات ترايدنت ام البروانة و٤ دنانير للطفل او الطالب...
* باسطرمة مصلاوية من متي و بولص فِي ام البروم ٧٥ فلس للقطعة الواحدة.
* متر قماش ديولين وتترون ياباني ١٥٠ فلس..
* باكيت سكائر روثمن كويتي ٨٥ ثم ١١٠ ثم ٣٠٠ فلس و٢٢٥ فلس من الاورزدي.
* ايس كريم ابو علي ودوندرمة عبود ٢٠فلس.
* لفة سكائر مزبن ١٥ فلس من غفوري ابو التتن مجاور سلطان ابو

الباجة..سوق البصـرة القديمة..

* طاسة لبلبي واستكان شاي او بطل تروابي ٢٥ فلس فِي كازينو البـدر فِي شـط العرب

* مطبك سمك بحري مع يابسة وتمن وصـمونة ١٢٥ فلـس فِي مطعـم الكليـة بالجامعة.

٥. سراي البصرة العثماني.. ثانية

لقد بني مبنى بلدية البصرة القديم أيَّام عهد الملك فيصل الأول، فِي الثلاثينات، على اغلب الظن بإشراف من مهندس ينتمي الى اسرة رؤوف الَّتِي تمتلك مطبعة قريبة من جامع (المعرفي) المطلة على نهر العشار. اما فِي الجهة الشمالية المقابلة فنجد مبنى المحكمة القديمة- الذي تحول حاليا الى مجمع سكني لبعض الأسرة المهاجرة من الريف- وهكذا شيد مبنى السراي الحكومي موزعا على ضفتي نهر العشار قبل دخوله لمحلة (السيف) حيث يتصل المبنيان بجسر رابط.ويبدو ان السلطات العثمانية شيدت هذا المجمع كي تكون على مقربة من محلة السيف الَّتِي كانت تحتشد بشناشيل وجهاء المدينة من تجار وأغوات إضافة الى حرصها على ان تكون قريبة من منطقة البصرة القديم الَّتِي كانت تضم عددا من القنصليات والمكاتب التجارية مثل (شركة الهند الشرقية) وسواها من المكاتب والكنائس والبيوتات ذات الطابع التجاري، كما ان موقع السراي كان قريبا من محلة (السيمر) المطلة على نهر العشار من جهة الجنوب.وقد عرفت هذه المحلة بمخازنها التجارية الضخمة الَّتِي كانت تصلها البضائع المستوردة عن طريق النقل النهري بعد تفريغها من البوخر الراسية فِي (شط العرب) قبل ان ينالها الحريق المدمر فِي بدايات القرن العشرين ١٩٠٤ تقريبا. غير ان الاحتلال البريطاني ١٩١٤ أدى الى ازدهار محلة العشار على الصعيد التجاري والاقتصادي مما أفضى بالتالي الى سحب البساط من البصرة القديمة لصالح العشار الَّتِي أصبحت مركز المدينة ومركزا للتجارة البحرية والنهرية حيث تدفقت عليها السلع من شتى أنحاء العالم ما ادى الى ازدهار

سوق الهنود منذ بدء الاحتلال.

ويلاحظ وجود (ميبب) او قوس فِي مبنىٰ السراي الجنوبي صمم لغرض توفير شكل من اشكال الانسيابية بالنسبة لطريق بصرة- عشار الذي اطلق عليه البريطانيون تسمية (طريق الساحل) كما اسلف ذكره. وقد انصب اهتمام القوات البريطانية علىٰ طريق الساحل لكونه يمر بباب او بوابة الزبير وكان الطريق البري المؤدي لقاعدة الشعيبة حيث تتوقف وسيلة المواصلات النهرية عند منتهىٰ نهر العشار بالقرب من مستشفىٰ مود (الجمهوري).

ان الصور المتوفرة لدينا جاءتنا كالعادة عن طريق المصادر البريطانية او مكتبة الكونغرس الأميركي. نقرأ علىٰ الصور الَّتِي تمثل السراي الحكومي انها ترجع لمكتبة (ماري ايفانز Mary Evans Picture Library للصور). ومعلوم ان طريق الساحل القريب من منطقة السيمر قد بدئ بتعبيده بالاسفلت فِي عهد المتصرف نظيف بيك.

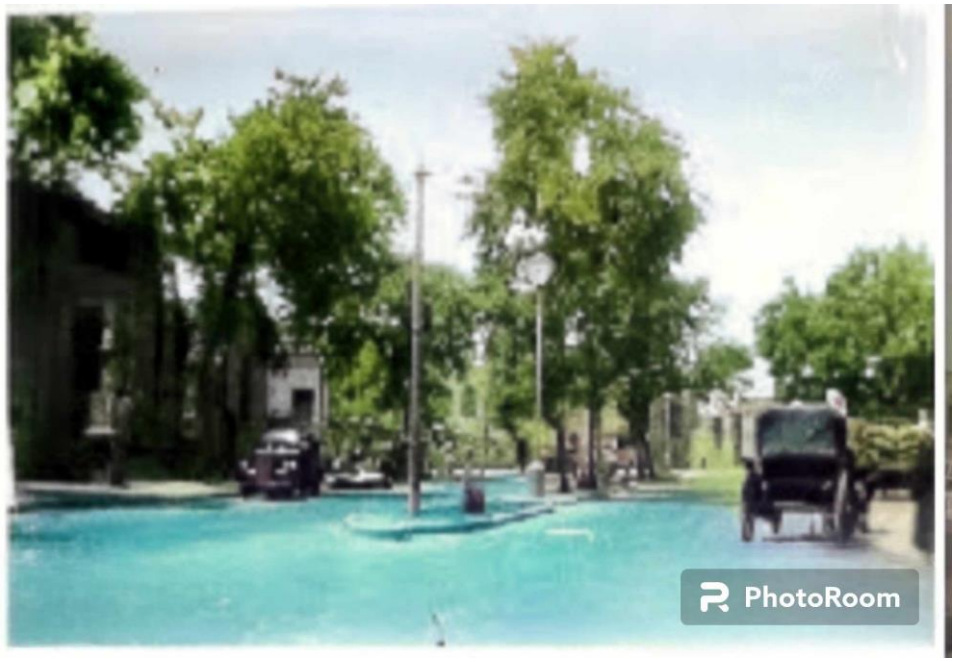
PhotoRoom

PhotoRoom
IWM

٦. صحافة الاحتلال البريطاني الأول للبصرة

طوت فترة الاحتلال البريطاني للعراق مرحلة التأسيس الأولى للصحافة العراقية الَّتِي انشأتها السلطات العثمانية وحكمتها بقوانينها وانظمتها ووسمتها بسماتها، وأنشأت بدلها صحافة خضعت لتوجيه السياسة البريطانية ومصالحها فِي المنطقة. وفي الوقت الذي بدأت فيه قنابل السفن البريطانية تتساقط فِي ٦ تشرين الثاني عام ١٩١٤ على مدينة الفاو، تم انزال القوات البريطانية فيها، فِي الوقت الذي اخذ خضوع العراق للحكم العثماني الذي ابتدأ منذ عام ١٥٣٤ يهتز ويتهاوى. وفي ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ احتلت القوات البريطانية البصرة رسميا. وكان من اوائل الاعمال الَّتِي قام بها البريطانيون عند احتلالهم البصرة مصادرة مطبعة الولاية الرسمية لولاية البصرة وابتياع المطابع الاهلية لكي ينفردوا باستخدام الصحافة وهي الوسيلة الاتصالية الأساسية فِي العراق فِي تلك الفترة.. وكان هدفهم كسب الرأي العام العراقي بالاتجاه الذي ينسجم مع احتلالهم فأصدروا نشرة يومية باللغتين العربية والإنكليزية تضمنت اخبار المعارك فِي جبهات القتال من وجهة النظر البريطانية وتحولت هذه النشرة فيما بعد إلى جريدة اطلق عليها اسم (الأوقات البصرية) وهي أول جريدة اصدرتها قوات الاحتلال البريطاني. ولم تقتصر هيمنة البريطانيين على الطباعة والصحافة فقط بل قاموا بتأسيس دور للسينما وتزويدها بالأشرطة السينمائية والاخبارية الَّتِي تبث الدعاية لبريطانيا. لقد كانت قوات الاحتلال البريطاني تولي الدعاية اهمية كبرى فِي تلك الفترة الَّتِي اشتبكت فيها بصراع ضار مع القوات العثمانية من جهة ومع رفض الاحتلال من قبل جماهير

كبيرة فِي العراق من جهة ثانية، ولهذا اعتمدت على الصحف لإيجاد علاقات ايجابيـة مع المواطنين ولدحر الدعايات التركية وإضعاف النفوذ التركي.

٧. ليلة استثنائية فِي قضاء (المدينة)

التاريخ الخميس الثامن عشر من كانون الثاني من سنة ١٩٩١ أي بعيد بضع ساعات من ضربة التحالف الأولى وبدء ما اسموه بعاصفة الصحراء. كنت اسكن فِي بيت اهلي بحي الجامعة التابع لمنطقة القبلة لأسرع الى محلة الاصمعي حيث كانت زوجتي الراحلة تقيم مع اهلها. وحين دلفت لبيت اصهاري لاحظت فزعا مرتسما على محيا ام زوجتي متأت من اصداء قصف الطائرات لاسيما وان صحتها قد تردت من واقع النكبة الَّتِي المت بها اثر رحيل ابنها خالد الذي استشهد بفعل قصف المدن المتبادل. خطرت ببالي فكرة ان اجنب والدة زوجتي رعب القصف وزمجرة الفانتوم وهدير التورنادو فأقترحت عليها وعلى زوجتي ان نلوذ بقضاء المدينة لكونه مكانا لا يطمع به جيش التحالف. وقضاء (المدينة) من اقضية محافظة (البصرة)، تقع الى الشمال من مركز مدينة (البصرة) بحدود خمسة وتسعين كيلومترا، فعلى ركام أثري لمدينة سومرية مندرسة وسط بطيحة البصرة نشأت هذه المدينة حتى اصبحت حاضرة منطقة الجزائر قبل الف عام.

كما ان القلاع والتلال المحيطة بها ما هي الا مدن مندرسة تشير الى حضارات متعاقبة اندثرت فيها، وقبل (٤٥٠) سنة من الان كانت (المدينة) تشكل وحدة ادارية مهمة (ناحية) تابعة لولاية البصرة.

وهكذا استقلوا سيارتي الميتسوبيشي حاشرين اجسادهم التسعة داخل السيارة. وما هي الا ساعة حتى وجدنا انفسنا فِي سوق المدينة لأسرع بسؤالهم عن

بيت صديق الكلية الاستاذ كاظم. لم الق عناء في الوصول الى بيته ذلك ان قضاء المدينة من الأقضية الصغيرة -شأنها شأن معظم اقضية البلد- فقرعت باب بيت ذلك الزميل العزيز وبعد ان تعانقنا مسكني من يدي للداخل لأجد قبالتي منظرا صادما وشديد الإيلام: كان صحن بيته الصغير غارقا ببحيرة تسرب ماؤها الى غرف الدار فأسفت لحالة صديقي المؤسية وغادرته باتجاه منطقة (طلحة) عسى ان نلقى بيتا فارغا نبيت فيه ليلتنا المضطربة. وفي الطريق الى هناك استوقفنا رب اسرة طالبا منا ان نقبل ضيافته حيث علمت انه يدعى (خميس) وانه كان خياطا في سوق المغايز. فقبلنا دعوته على مضض مستسلمين لضغط الواقع المحتدم. وهكذا بتنا في غرفة استقبالهم حيث اغرقنا مضيفنا بكرم ضيافته. ومع مقدم الليل وميل الكائنات للسكينة اصيب معظمنا بالأرق بينما كانت طائرات التحالف مستمرة بالهدير المصحوب بارتجاجات مكتومة ترواوحت بين القريبة والبعيدة. فأسقط في ايدينا بعد ان ادركنا انتفاء أي فارق بين النوم في مركز البصرة والنوم في هذا المكان الذي لم نكن قبل يوم نتخيل اننا سنصل اليه. وما ان اطل الصباح علينا حتى اسرعنا بتناول وجبة كانت ستعد شهية جدا لولا فوبيا المعارك الَّتِي اناخت بكلكلها على ارواحنا الهشة. وقد تألفت تلك الوجبة من (قيمر العرب) ومن ما لذ وطاب لنودع مضيفنا شاكرين عائدين من حيث جئنا، ولنجتاز لحسن حظنا احد الجسور الَّتِي تعرضت لقصف التحالف غير ان ما اصابها في البداية لم يكن سوى خدوش وتثلمات قياسا ما سيحدث لذلك الجسر بل لمعظم جسور دجلة والفرات من قصف وتدمير طال الأرواح ايضا!

٨. ما الذي حدث للبرتو مورافيا لدى زيارته للبصرة؟

روى لي الصديق الراحل الشاعر حسين عبد اللطيف هذه الحكاية عن زيارة الروائي الايطالي البرتو مورافيا لمدينتنا فِي سنة من السنين. وكما هو معلوم فأن مورافيا غني عن التعريف من خلال اطلاع القارئ العراقي على اعماه السردية: الاحتقار، امرأة من روما، العصيان، امرأتان وهي الرواية الَّتِي تحولت الى فيلم سينمائي من بطولة صوفيا لورين وجان بول بلمندو ومن اخراج فيتوريو دي سيكا. يقول الصديق الراحل: ايم السبعينيات من القرن الماضي زار مورافيا الكويت، وبعد انتهاء الزيارة خطر فِي باله او اقترح عليه ان يقوم بزيارة لمدينة البصرة القريبة نسبيا لاسيما وانها ارتبطت فِي ذهن الكاتب بشخصية السندباد وحكايات الف ليلة وليلة. ويبد ان مورافيا لم يستقبل فِي البصرة استقبالا تستحقه قامته الادبية، بل انه التقى عن طريق الصدفة وبينما كان يتنزه على ضفاف (شط العرب) التقى الشاعر المرحوم (مزيد الظاهر) الذي روى حكاية اول من استقبل مورافيا فِي نقطة سفوان الحدودية اذ كان شرطيا ضمن شرطة دائرة الجمارك والذي اندفع نحو حقيبة الكاتب مخرجا منها آلة تصويره المعبأة، ربما، بالعديد من صور النيجاتيف داخل شريط الكاميرا، ونظرا لجهل ذلك الشرطي، فأنه اسرع بسحب ذلك الفيلم معرضا ذلك الشريط للتلف! تلك هي الحكاية التى رواها مزيد الطاهر لحسين عبد اللطيف!

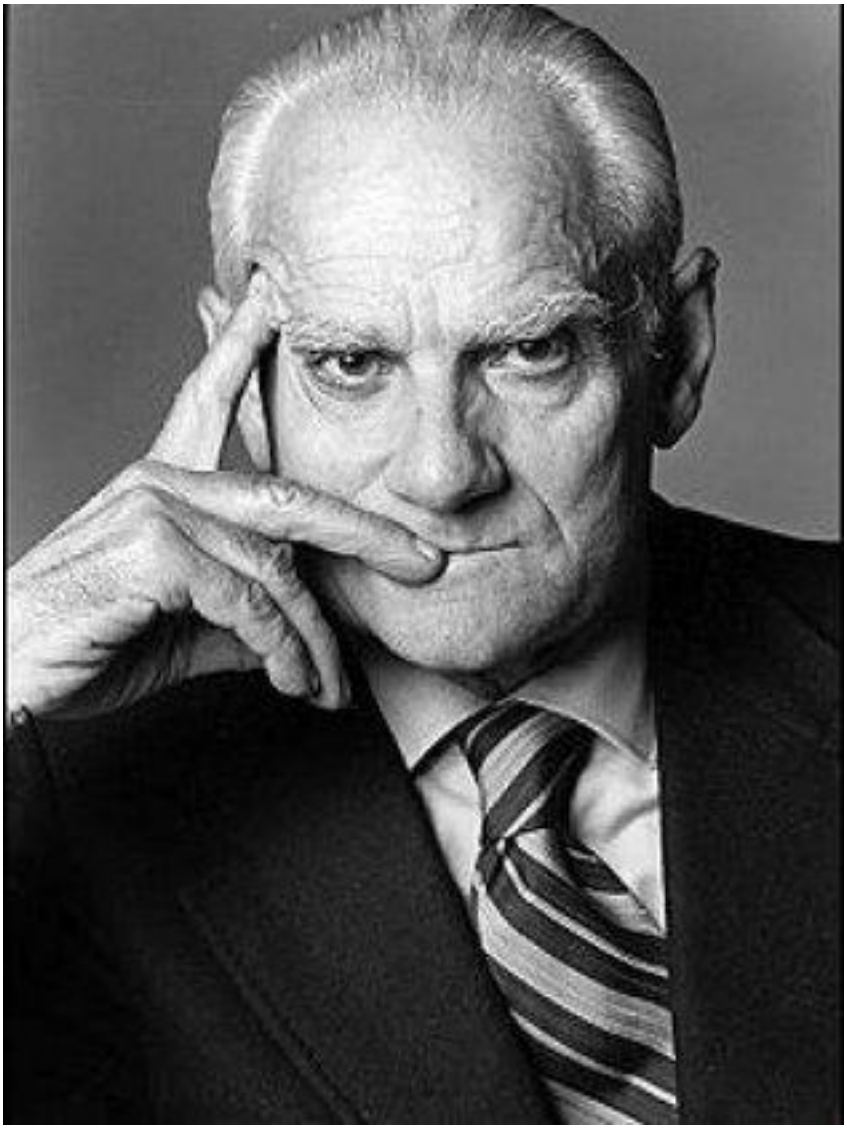

٩. قارئ كفّ بجوار عمارة النقيب

شيدت عمارة النقيب فِي الثلاثينات من القرن الماضي على يد مالكها المرحوم حامد النقيب الذي ينتمي الى اسرة بصرية ذات طابع ديني فحامد النقيب من اقرباء طالب النقيب الذي كان مرشحا لأن يصبح ملكا على العراق لكن كان للمحتل الانكليزي رأي آخر.

مازلت اذكر عمارة النقيب فِي فترة الستينات حين كنت اجتازها متجها الى جامعة البصرة فِي التنومة فقد اعتدت شراء نسختي من ملحق الجمهورية الأسبوعي لدى بائع الصحف والمجلات المرحوم عبد الحسن حاجم الذي اعتاد ان يتخذ موقعه فِي الركن الايسر وبالضبط تحت عمارة النقيب بجوارالموقع السابق لسمبوسة (ابو عباس). كانت عمارة النقيب متميزة بطرازها العمراني الفريد وهي تحتل موقعها الجميل بجوار باصات (ابو عرام) والتي اطلق عليها فيما بعد بـ (الامانة) او (مصلحة نقل الركاب). وكانت هنالك تحت العمارة مجموعة من المحلات اذكر من بينها محل لبيع (المشروبات الكحولية) وكان بجواره بار يقدم البيرة العراقية (فريدة) ومحلات اخرى مثل مكتبة سالمين للبطاقات البريدية.

وفي يوم من الأيّام توقفت صدفة لدى محل صغير عند الجهة اليسار من ساحة النقيب كان صاحبه عرافا او قارئا للكف. وعلى سبيل المزاح اقترح علي احد الأصدقاء ان ندخل المحل كيما يقرأ العراف كفي. وقد علمنا ان ذلك القارئ اشترط على كل واحد منا ان يقرأ له كفه على حدة فدخلت انا على مضض حيث لم اكن

اصدق بما يقوله العراف. حدثني العراف بأن عمري سيكون طويلا وبأنني سأكون مشهورا ولكنني غادرت المحل حائرا بين ان اصدق تكهناته من عدم تصديقها. اما صاحبي الثاني والذي اقترح علينا قراءة الكف فقد انتظرناه في الخارج لدقائق ليخرج ممتقع الوجه وحين سألناه عما اخبره ذلك العراف، أبى اخبارنا بما ذكره له ذلك العراف. والغريب ان صاحبي بعد ثلاثين سنة لقي حتفه على يد لص تسلل للدار من اجل سرقة مبلغ سمع انه أرسل اليه من احد اقربائه الذي كان يسكن في لندن!

١٠. نزار آل ابراهيم.. عاشق ابدي للبصرة!

قبل عامين تقريبا ابلغني صديق معتق ومقرب فِي آن معا بأن صديقا آخر كان من ابناء محلتنا وزميلا لنا فِي الاعدادية المركزية أيَّام الستينيات يسأل عني. ثم ذكر لي اسمه فلم استطع تذكره فِي بداية الامر ولكن مع تكرار محاولاته بتذكيري استطعت ان استرجع المواقف والأحداث الَّتِي جمعتنا نحن الثلاثة معا. وكان الواتس أب وسيلتنا الجديدة لإعادة تمتين المعرفة الَّتِي بددها زحام الأيَّام والحواديث وتقادم الزمن. وهكذا عرفت انه كان من ساكني شارع الوطني أيَّام الخمسينيات واواسط الستينيات قبل ان ينتقل الى جذوره الأقدم: الكويت حيث اقام على ارضها بحكم الانتماء ومازال.ولقد حدثني طويلا عن ذكرياته الخضر فِي شارع الوطني حيث اعتاد فِي اوائل الستينيات ان يلتقي بشكل شبه يومي بجوار مكتبة فرجو جنبا الى جنب صديقه وجاره المرحوم محمود خضير الجوهر صاحب اللوندري الكائن يسار الشارع المتفرع والذاهب الى نهر المدينة الكبير.. شط العرب. وكنت اظنه من اسرة آل ابراهيم الزبيرية لكنني علمت فيما بعد انه الصديق المتجدد نزار عبد القادر آل ابراهيم الذي ينتمي لاسرة عريقة فِي عالم التجارة سكنت منذ عهد بعيد فِي قرية (الدورة) القريبة من الفاو حيث كان جده من ملاكي الأرض وكان وكيلا للأراضي الَّتِي كان يمتلكها بعض من شيوخ (آل الصباح) الكويتيين.وعلى الرغم من انقضاء فترة طويلة من مفارقته البصرة ناهزت الستين عاما، لم ينقطع يوما عن استذكار ما يعدها واحدة من اجمل سنينه فِي شارع الوطني.وحسبما علمت فأنه عمل فِي التعليم الابتدائي فِي الكويت ومن ثم حصل على التقاعد مزجيا الوقت فِي استعادة تلك

الذكريات العطرة.ومع انه اعتاد على السفر لمصر الكنانة الا انه لم ينقطع يوما عن تفقد تلك الأماكن الَّتِي عاش فِي كنفها او قادته اليها قدماه: شارع الوطني، شارع الكزارة، حديقة الأمة، الاعدادية المركزية، سينمات شارع الوطني، ضفاف نهر شط العرب، مقهى علي بابا،مقاهي العشار ومطاعمها الشعبية والمتوسطة الصنف، كما انه اولع بتفقد وجوه عرفتها المدينة اذ دأب على الاستفسار عن ابن البصرة عازف الفيفرة (الناي) تومان وعن وجوه التقاها من زملاء فِي متوسطة التحرير والاعدادية المركزية. لم ينفك الاستاذ نزار عن بث رذاذ تساؤلاته عن بصرة الامس ذلك انه ومنذ رحيله للكويت نادر مازار معشوقته الأبدية يسأل عن ما تبقى من عمائرها وما تغير من شوارعها وما اندثر من اركانها الدافئة دون ان يزورها الا فيما نادر. بل حدثني بتحسر وألم عن ان ظرفه الصحي منعه من القدوم الى البصرة ابان دورة خليجي ٢٥. وهو يتصل بين الفينة والفينة للسؤال عن هذا الطالب الذي زامله أيَّام الاعدادية او ذاك المدرس الذي ترك اثره العبق فِي ذاكرة نزار آل ابراهيم الخضراء وكان آخر استفساراته تتعلق باستاذ الأحياء شاكر حمودي المقيم حاليا فِي المانيا.لم ينقطع يوما عن تكرار اسماء بصرية مدرسين وطلبة وجيران، الراحلين استاذ الانكليزي لورنس،استاذ الكيمياء فؤاد الخفاجي،تلميذ متوسطة التحرير قلب الاسد ابن الدكتور اللبناني الاصل قيصر معتوق، سعد الجبير،كاظم نعمة التميمي استاذ اللغة العربية، نزار عبد المجيد السامرائي زميل الدراسة وما فتئ يسأل ويتفقد اخبار عدد لانهائي من الوجوه البصرية الجنوبية، دون ان يكتفي بالسؤال بل يطلب مني ارسال تحياته الحارة الى من بقي على قيد الحياة مبديا استعداده لأي مساعدة من أي نوع!

ألا يستحق نزار آل ابراهيم لقب (عاشق البصرة) الأبدي؟!

١١. تجريف الأخضر

البصـرة.. المنسـي والمستعاد (*)

المدينة كائن حي؛ امرأة تتفتح مثل وردة ثم ما تلبث ان تذوي.ان المدينة- قبل ان تلفظ أنفاسها الأخيرة- تلد مدينة أخرىٰ تشبهها ولا تشبهها، وبالتالي نشهد أعدادا لا متناهية من المدائن. ان بصرة الأمس قد راحت.. وحلت محلها بصرة أخرىٰ هي امتداد متجدد لكيان شبه متلاش. ولعل الصورة الثانية اقرب الىٰ الملموس من الصورة الأولىٰ بل اقرب الىٰ قانون الحياة:

ولادة.. بناء ثم فناء ثم ولادة وهكذا دواليك!

ونحن إذ نعي جيدا لعبة الزمن الَّتِي لا تنجو منها مدينة من مدن الدنيا، إنما نعي أيضا انه ما من مدينة تعرضت لهذا القدر من الخراب كما البصرة. ترىٰ هل نملك من الكفاءة وفسحة الوقت لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من مدينة اسمها او كان اسمها البصرة لطالما ضرب بها المثل الشهير (بعد خراب البصرة)؟!

من المؤسف أننا أصبحنا بين حالتين:

الحنين للأمس والاستغراق فِي متع الحاضر الخادعة!

مع الزمن ومعاول الريح والبشر، فقدت المدينة سماتها الَّتِي اكتسبتها من

---

* ألقيتُ هذه المحاضرة يوم الجمعة الموافق الخامس من كانون الثاني٢٠٢٤ في مقر التجمع العراقي الحديث بالعشار وكان مقدم الجلسة الفنان التشكيلي والكاتب الاستاذ هاشم تايه.

طرقات وعمائر وشرفات وضفاف. حين تزال بناية هنا وتقتلع غابة نخيل هناك تبدأ المدينة بفقدان وجهها الذي ألفه ساكنوها لتمسي مكاناً غريباً تنكره العين قبل القلب فإذا بمن عاش فيها يتحول بدوره إلى كائن غريب. هذه التبدلات هي سمة من سمات كل كائن حي أو غير حي، فالبشر يتبدلون..أزياءً ووجوهاً مثلما يمسي الشباب كهولاً والكهول طاعنين فِي السن، وهكذا هي المدن!

تقسيمات

بدأت رحلتي التنقيبية فِي بصرة الماضي البعيد او القريب حين اصدرت جريدة (المنارة) البصرية ملحقا عن المدينة اسهمت فيه بمقال حمل عنوان (بصرة الأمس.. عدن مضاع) كان بمثابة مرثية لمدينة تناوشتها اذرع الزمن وأيادي الاهمال ومعاول البشر- ممن تركوا بصماتهم على معالمها- كما ان عملي كمحرر فِي جريدة (صباح البصرة -الأخبار سابقا) تمخض عنه اشرافي على صفحة فِي كل عدد صادر تحمل عنوان (ذاكرة البصرة). ومن خلال هذا الانصراف امكنني ان افرز جملة من الشواخص الَّتِي تسم بصرة الامس واليوم تتمثل فِي الآتي:

أ. شواخص ازيلت تماما عدا ما تبقى فِي ذاكرة الشيوخ تتمثل فِي كل من: ساعة سورين عند جسر الهنود، القلعة العثمانية الَّتِي حلت محلها مايسمى (خضارة العشار)، بيت محمد خلف العبد الواحد الكائن ضمن اطلالة (البجاري) على نهر العشار، البنك البريطاني للشرق الأوسط المقابل لفلكة اسد بابل،مكينة السوس فِي محلة (الرباط)،مبنى البريد القديم بطريق الساحل المطل على نهر العشار،حديقة الأمة فِي شارع الكورنيش،عمارة النقيب المقابلة لجسر الهنود، دور السينما.

ب. شواخص شبه مزالة لم يتبق منها الا القليل الدال عليها: مقبرة اليهود فِي البصرة القديمة مقابل حي الرسالة،مقبرة الانكليز فِي منطقة الحكيمية، مدرسة الرجاء العالي فِي كلا مبنييها،، نظران، مبنى معهد المعلمين شمال خزان (الباور هوز)،مطار البصرة القديم فِي المعقل،جزيرة السندباد، شارع الكورنيش بحلته السابقة وغيرها ما آثار، شناشيل البصرة فِي منطقة السيف بالبصرة القدبمة.

ج. شواخص وابنية مازالت باقية انما من دون مظاهرها الخارجية والتي جرى تغييرها إما بالاضافة او الحجب اوالتشويه: منطقتا الداكير ومحلة الدواسة، ساحة ام البروم،المستشفى الجمهوري- مستشفى مود سابقا، الدرب الطويل الذي قوضت بساتينه وشاخاته لتحل محلها قصور وبيوت وشركات ومؤسسات ومولات، كمب الأرمن، مبنى المتصرفية او المحافظة القديم، جسر الهنود او ما يسمى بجسر المغايز،مبنى الاعدادية المركزية الذي حجبت اطلالته عمارات الاسمنت والكوبون والساندويتش بانل.هذا التقسيم الثلاثي لايشمل عشرات المباني والانهار والمحلات الَّتِي كانت امتدادا للمدينة مثل احياء شمالي نهر العشار: الساعي والتحسينية الَّتِي كانت بساتين كثيفة مزدحمة بالنخيل واشجار الفاكهة وجنوبا محلة بريهة الَّتِي كانت عبارة عن بساتين نخيل وجداول وادغال حلفاء، على سبيل المثال لا الحصر.

عبر تاريخ المدينة القريب والذي يناهز المائة والخمسين سنة، تميزت البصرة بعدد كبير من الشواخص الَّتِي كانت كل واحد منها يعد بصمة او علامة فارقة للمكان الذي انشأت فيه.فعلى سبيل المثال نستذكر سنة ١٩٦٥ وهي السنة الَّتِي شهدت ازالة ساعة سورين ما يستدعي القول بأنه ما كان يجب ازالة تلك الساعة الَّتِي كانت علامة فارقة لمركز المدينة تذكرنا بساعة (بيغ بين) فِي وسط لندن والتي ما زالت تعد رمزا تاريخيا لعاصمة الضباب. لقد جرى ازالة تلك الساعة بسبب ما ذكرته الجهات المسؤولة عن تنظيم مركز المدينة وهي الساعة الَّتِي شيدت بدعم من احد تجار البصرة وربما كان ارمنيا وذلك فِي اوائل الثلاثينيات من القرن الماضي. وقد تمت اجراءات الازالة على نحو تدريجي فِي عهد محافظ البصرة محمد ندى الحياني حيث كان الهدف العلن هدم مبنى البنك العربي الملاصق وحين تم ذلك خشي على تعرض الساعة للسقوط بعد فقدانها للمبنى الذي كانت تستند اليه فجرى هدمها. اما الضحية الثانية فتمثلت فِي قصر الوجيه المرحوم محمد خلف العبد الواحد الذي بناه عام ١٩٣٣على غرار بلدية بومبي فِي الهند.وكانت حجة من ازالوا ذلك الصرح انه كان عائقا امام شق الشارع الشمالي القادم من من جامع المقام. وكان بالإمكان للطريق ان ينحرف بضعة امتار باتجاه محلة البجاري مع الابقاء على المبنى.كما يخطر فِي البال مبنى البنك البريطاني للشرق الاوسط المجاور لمصرف الرافدين باتجاه فلكة اسد بابل الذي كنت وانا صغير اتجول بين فناءاته الخارجية. وهو اضافة الى مظهره المعماري المتميز يعد تاريخا للحراكين التجاري والمالي منذ بدايات القرن العشرين وحتى ما بعد قيام ثورة الرابع عشر من تموز.لقد عقدت الدولة العثمانية او ما يسمى (الرجل المريض) فِي سنواتها الأخيرة سلسلة من

الاتفاقيات والمعاهدات مع مجموعة من الدول المتربصة بالمنطقة الدولة البريطانية. وكانت واحدة من التكتيكات الَّتِي استخدمتها السياسة البريطانية قبل احتلال العراق السعي لاستثمار الأموال وبمشورة خبراء المال من اليهود فِي عموم اراضي الدولة العثمانية.وكان افتتاح (البانق الامبراطوري العثماني) واحدا من مساعي الانكليز لربط الاقتصادين العثماني والعراقي ببريطانيا.كما جرىٰ وعلىٰ المنوال نفسه افتتاح البنك الامبراطوري الفارسي فِي اكثر من مدينة عراقية برأس مال بريطاني وبشكل متكتم. وكان ذلك الحراك شكلا شائعا من اشكال الدهاء البريطاني!

في مرة من المرات وقعت عيناي علىٰ صورة فوتوغرافية بالأسود والأبيض تمثل ارائك مقهىٰ علىٰ نهر وكان بالقرب منها عربة خيول.

وكانت الصورة موقعة بكلمة (سيمر) باللغة الانكليزية. ومرت شهور قبل ان اعرف ان مكان الصورة كان محلة (السيمر) تلك المحلة الَّتِي جلست فِي احد مقاهيها المتصدرة قبالة مبنىٰ المحكمة القديمة. وشيئا فشيئا وبمعونة مجموعة من الصور الَّتِي التقطتها عدسة المصورة الانكليزية (ماري ايفانز) - لاحظ ان معظم صور تلك العهود التقطت بعدسات اجنبية- عرفت بوجود السراي الذي توزعت أرجاؤه علىٰ ضفتي نهر العشار حيث مبنىٰ السراي الحكومي الذي كان يضم عددا من الدوائر الاشرافية والخدمية أيَّام الحكم العثماني. كانت السيمر مركزا تجاريا بالغ الاهمية حيث كان مرساه النهري يستقبل البضائع الَّتِي كانت تجلبها المراكب والزوارق والمهيلات. الا ان ذلك المركز تعرض سنة ١٩٠٤ لحريق هائل قضىٰ علىٰ معظم متاجره وبذلك اصبح العشار-مع ازدهاره المضطرد- يتبوأ مكانة تجارية ذائعة الصيت مع ازدهار سوق الهنود.

في تموز الماضي وبينما كنت اقلب ارشيف الصور المخزونة، وقع نظري على خارطة بريطانية لمركز المدينة -ابتداء من جسر الرباط وانتهاء بجسر الخورة- وحين تفحصتها بتمعن، اكتشفت انها تعود للفترة الَّتِي اعقبت الاحتلال البريطاني الأول للبصرة ١٩١٤-١٩١٨. ومع تعقبي لأسماء شوارعها المدونة طبعا باللغة الانكليزية، لاحظت ان المحتل اعتمد تسميات تتناسب ومزاج المحتل المنتصر، فالشارع القادم من جسر الرباط والذي ينتهي امام المبنى القديم للمحافظة سمي بشارع (اوكسفورد)، اما شارع الاستقلال المار بمحلتي الكزارة والمناوي باشا فاسماه الانكليز (شارع جيبور) تكريما لأحد القادة الهنود الذين اسهموا باحتلال المدينة والامر نفسه ينطبق على جسور العشار فجسر العشار القديم جدد وسمي بـ (جسر وايتيلي) نسبة الى المهندس البريطاني وايتيلي والذي رافق الحملة الانكليزية لاحتلال العراق.اما الطريق المار شرقا بغرفة تجارة البصرة مرورا بكنيسة السبتيين فأطلقت عليه تسمية (شارع الحاكم)، وهكذا دواليك.

أخيرا وليس آخرا فأن الحديث عن بصرة الأمس البعيد او القريب ذو شجون!

الفنان التشكيلي الأستاذ هاشم تايه

١٢. ألن فلييرز يحضر حفلة عرس فِي الزبير

الن فلييرز او الشيخ ماجد، كما كان البحارة العرب يدعونه، كان آخر الربابنة العظام للمراكب الشراعية الكبيرة الَّتِي تجوب المحيطات. وقد امضىٰ الجزء الأكبر من عمره يقود تلك المراكب ويدرسها ويكتب عنها، فقد بدأ اولىٰ رحلاته من وطنه استراليا ولما يبلغ الخامسة عشرة من عمره. وفي عام ١٩٣٥ قاد المركب الشراعي (جوزيف كونراد) فِي رحلته الشهيرة حول (رأس هورن). وفي كتابه الشهير (ابناء السندباد) رافق الربان الكويتي (نجدي) فِي رحلته حول السواحل الجنوبية لشبه جزيرة العرب باتجاه القرن الأفريقي ثم قفل راجعا ليزور الكويت ويحظىٰ باهتمام حكامها وتجارها وملاحيها. فِي غضون ذلك دعاه احد التجار الكويتيين لحضور زفافه علىٰ احدىٰ بنات مدينة الزبير حيث كرس فِي كتابه صفحتين اجمل فيهما انطباعاته حول الحياة الاجتماعية هناك وفيما يلي سطور من تلك الرحلة: «عندما سألت عبد الله لماذا اختار الزبير بالذات. اجاب بأنها تقع علىٰ بعد مائة ميل شمال الكويت. وفي الطريق الىٰ البصرة، وهي لذلك فِي موقع مناسب لكليهما فيمكن ان يبني بيتا صغيرا هناك ويذهب اليه كلما شاء. كما ان البلدة تقع فِي منطقة صحراوية، والحياة فيها بسيطة لم تفسدها يد المدنية بعد، مع انها احدىٰ مدن العراق» ويستطرد فلييزر حكايته قائلا: «وصلنا الزبير فِي المساء فوجدتها مدينة رومانسية ذات طابع عربي صميم. وكان هناك والد العروس وأحد اعمامها بالاضافة الىٰ بعض اقارب العريس من الذكور ولم نر اثرا لأية نسوة» ويستكمل ملاحظاته كاتبا: «ولم يذهب عبد الله الىٰ عروسه الا عند الساعة الثالثة بعد مغيب شمس اليوم التالي. وعندئذ

نزلنا جميعا فِي شارع الزبير الضيق ميممين وجوهنا شطر البيت الـذي كانـت اسـرة العروس تسكنه، ومعنا عبد الله وهو يرتدي جلاليبه وعباءاتـه وأفضـل عقـال لديـه وعيناه تشعان بحرارة الشوق. وعند البوابة كانت مجموعة مـن نسـاء الـزبير يقفـن، وقد تجللن بالسواد من قمة الـرأس الى أخمـص القـدم، فتخطينـاهن مسـرعين لأن صاحبي لم يكن يرغب -لسبب من الاسباب- ان يشـيع خبر هذا الزواج على نطـاق واسع. وفي هذه المرة دخلنا الى المنزل نفسه جيث كانت غرفة جديدة قـد بنيـت عـلى جزء من السطح المستوي، وزينـت بالأشرطـة البراقـة والشـموع المضـيئة وفرشـت بالأثاث الذي كان يتـألف مـن منضـدة واريكـة كبـيرة وصـندوق نسـائي وسـرير مزدوج، وكانت الأرضية مغطاة بالسجاد زوعندما دخلنا الغرفة واحدا بعد الآخـر، وجدنا والد العروس فيها. فالقينا التحية وجلسنا قليلا ثـم شـربنا الشـاي الشـديد الحلاوة والقهوة بنكهة الهال وتناولنا شـيئا من الحلوى والكعك، وكـان عبـد الله لا يستطيع صبرا فلم ار فِي حياتي عربيا تبلغ به اللهفة هذا الحـد وأخـذ يهمـس فِي اذني: «الآن! لقد حان الوقت الذي ساراها فيه. مكثنا هناك مدة عشـر دقـائق ثـم اخـذنا نلقي تحية الوداع».

في وسط المدي
سقوف غرف
مستعملا هذه
يحضره . ول
وهو يتحسر
احدى غرف
على صهوة

وقد
لشيخ الكوي
يشبه الحصـ
المدينة ، غ
الناس تقر
وكان دبيـ
مكان فسيـ
الجمال تـ
أصحابها
أسلحتهم
معاجرها
مشهورا
حتى حـ
يسوق قـ
ولكنه يـ
كانت الـ
كان بعـ

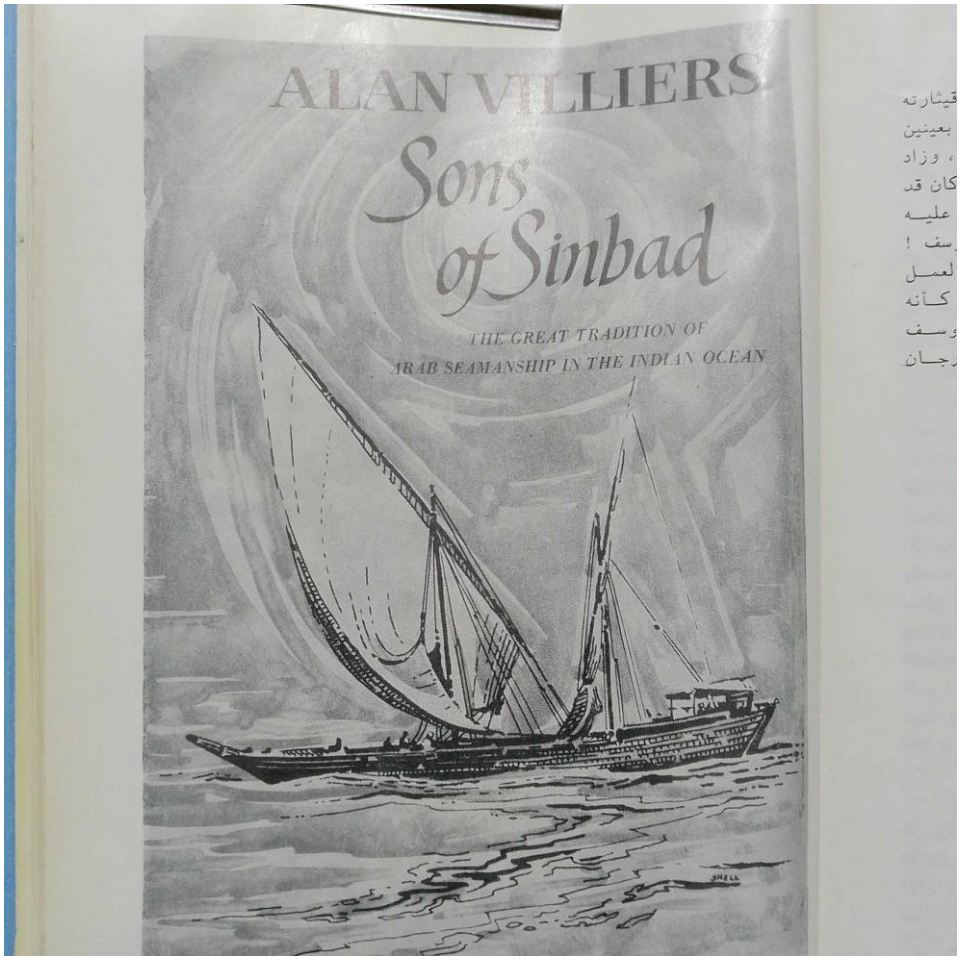
ALAN VILLIERS
Sons of Sinbad
THE GREAT TRADITION OF
ARAB SEAMANSHIP IN THE INDIAN OCEAN

المؤلف فِي سطور

* الاسم: محمد سهيل احمد الجاسم
* من مواليد البصرة ١٩٤٧.
* خريج قسم اللغة الانكليزية -كلية التربية سنة ١٩٦٩- جامعة البصرة.
* مارس تدريس اللغة الانكليزية فِي المدارس العراقية والكويتية والاردنية والليبية بين عامي ١٩٧٠ و٢٠٠٩.
* نشر عددا من القصص والتراجم فِي الصحف البصرية أيَّام الستينيات ومن ثم واصل النشر فِي الصحف البغدادية اثر فوزه بجائزة ملحق جريدة الجمهورية الأدبي فِي القصة القصيرة عام ١٩٦٦.
* في الكويت مارس العمل الصحفي بجريدة الرأي العام بين عامي ١٩٨٥ ولغاية ١٩٩٠.
* كما عمل بجريدة المنارة البصرية من العام ٢٠٠٣ وحتى توقفها سنة ٢٠٠٩.
* عمل كرئيس تحرير ومحرر فِي جريدة (صباح البصرة-الأخبار سابقا) ومازال.
* على صعيد النشر صدرت له ثلاث مجموعات قصصية ورواية كما صدرت له عن دمشق رواية مترجمة للشاعر الروسي (يفجيني يفتوشينكو) وأيضا صدرت له ترجمته لمسرحية الكاتب المسرحي الامريكي (تنيسي وليامز)

الموسومة (فجأة فِي الصيف الماضي). كما مارس الترجمة الأدبية من الستينيات ونشر العديد من المقالات الأدبية فِي الصحف العراقية والخليجية واللندنية.

* وضمن نشاطه الاستقصائي وكمحصلة للفضول التوثيقي الكامن فِي اعماقه، اصبح مسؤولا عن صفحة (ذاكرة البصرة) بجريدة صباح البصرة، كما نشر كتابه الموسوم (بين الرمل والماء.. البصرة صور وحكايات) الصادر بدعم من محافظة البصرة عام ٢٠٢١).

* عضو اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين -البصرة.

المحتويات

مـقـدمـة ٥

الفصل الأول ٩

من اين جاءت تسمية العشار ؟ ٩

الفصل الثاني ١٧

دقت ساعة سورين! ١٧

هدم الساعة وما جاورها ٢٠

مبررات الهدم ٢١

جثمان الساعة ٢٢

الفصل الثالث ٢٧

الاعدادية المركزية.. تاريخ حافل بالوجوه ٢٧

من الأدبي الى العلمي ٢٧

الصف الرابع الادبي ٢٨

الخامس الادبي.. السنة الأخيرة ٢٩

مبنى لإعداديتين ٣١

مكافأة أم عقوبة؟ ٣١

أجيال من ذهب ٣٢

كادر تدريسـي متميز ٣٣

الفصل الرابع ٣٧

سينمات البصرة ٣٧
فيلم (كوفاديس) عرض عام ١٩١٨ ..... ٣٧
سيل من الكشوفات ٣٨
احداث الرواية ٣٩
بين الدين والتاريخ ٤٠
الفصل الخامس ٤٥
شارع اكسفورد البصراوي ٤٥
سياحة فِي خريطة بريطانية ٤٥
ماذا نقرأ على الخريطة ايضا ؟ ٤٦
الفصل السادس ٥١
الشركات الملاحية الأجنبية فِي بصرة الأمس ٥١
شركة كري مكنزي ٥١
شركة الخليج للملاحة البخارية ٥٢
شركة بومباي والخليج للملاحة التجارية ٥٢
الشركات المتعددة الجنسيات ٥٣
خط كلان للملاحة التجارية ٥٤
شركة الملاحة البخارية البريطانية والمستعمرات ٥٤
خط بريمن -البصرة الألماني ٥٤
شركة ماريتايمز ٥٥
الشركة الروسية للملاحة البخارية ٥٥

شـركة بوكتال اخوان ٥٥
خط غرب هارت ليبول ٥٥
شـركة ستريك للملاحة ٥٦
خط عامبورغ -امريكا للملاحة ٥٦
الشـركة العثمانية الفارسـية للشحن ٥٦
شـركة يونانية لتجارة التصدير ٥٧
خط البصـرة المحمرة للشحن ٥٧
شـركة البواخر العربية المحدودة ٥٧
شـركة اغا جعفر للملاحة النهرية (شـركة فارسـية) ٥٧
الشـركة الألمانية لنقل معدات مشـروع سكة حديد بغداد ٥٧
شـركة اندروير ٥٨
شـركة الحاج علي سلطان شوشتري (شـركة هندية) ٥٨
القسم الثاني ٦١
استضافات ٦٣
الفصل الأول ٦٤
١. قصـر البلجانية فِي ابي الخصيب ٦٤
حسـين العطية ٦٤
موقع ساحر ٦٥
الوصي عبد الاله ضيفا ٦٦
جولة فِي انحاء القصـر ٦٧

(الكَهوة جاغ).....٦٨
الحرم ٦٩
ومنشآت اخرىٰ ٦٩
مكائن القصـر ٧٠
٢.محلة السـيمر وما جاورها.. .....٧٣
ثامر سعيد آل غريب.....٧٣
المنطقة الصناعية، سـيد ادريس:.....٧٥
٣ الباشا والبلوش.....٧٩
محلتان متجاورتان حافلتان بالمعالم الاثرية ٧٩
حسـين العطية ٧٩
محلة البلوش – الباشا ٨٠
العوائل العريقة فِي محلة الباشا ٨١
معالم أثرية وتراثية ٨٢
جامع ابو منارتين ٨٢
جامع عزيز آغا ٨٣
جامع الزهير ٨٣
كنيسة الكلدان ٨٣
عباس ابو (مطرق) عبدالله الهائم. ٨٣
ثانوية البصـرة للبنين ٨٤
مدرسة الأشبال الابتدائية للبنات ٨٤

دار المعلمات ٨٤
جمعية الإخوان المسلمين ٨٤
اشارة ٨٥
٤. الحاج عبد الله وليمسون من انكلترا الى نظران ٨٧
البدايات ٨٧
الأعجوبة ٨٩
الفونوغراف ٩٠
٥. لوحات بصراوية بريشة نجدية ٩٣
سامي الشمري ٩٣
اول نزهة نهرية فِي حياتي ٩٤
دقات ساعة سورين ٩٤
٦. مقهى ٩٧
كاظم حسن سعيد ٩٧
٧. العيد فِي البصرة القديمة ١٠٠
كتابة الراحل: حميد مجيد المالكي ١٠٠
صبيحة يوم العيد ١٠٠
٨. سوق الهنود.. ذاكرة وتاريخ ١٠٤
المرحوم عبد اللطيف جمعة ١٠٤
الجهة اليمنى من السوق ١٠٥
الجهة اليسرى من سوق الهنود ١٠٦

٩. جزيرة السندباد ١٠٩
شهر العسل بين السندباد وشط العرب ١٠٩
منقذ داغر ١٠٩
ضلع اخر ١١٠
١٠. رواسة الداكير ١١٢
مهدي نمرالكناني وطلال التميمي ١١٢
من شخصيات المنطقة ١١٣
بيت كريك ١١٥
القسم الثالث ١١٧
محطات صغيرة ١١٩
١. مـــن اعـــلام البصـــرة ١١٩
الوجيه انيس الوكيل ١١٩
٢. عاشق السـيدة ١٢٣
٣. اتبع النهر ١٢٥
٤. اسعار أيَّـام زمان.. الستينات وبداية السبعينات ١٣١
٥. سـراي البصـرة العثماني.. ثانية ١٣٥
٦. صحافة الاحتلال البريطاني الأول للبصـرة ١٣٨
٧. ليلة استثنائية فِي قضاء (المدينة) ١٤٠
٨. ما الذي حدث للبرتو مورافيا لدى زيارته للبصـرة؟ ١٤٣
٩. قارئ كفّ بجوار عمارة النقيب ١٤٥

١٠. نزار آل ابراهيم.. عاشق ابدي للبصـرة! ١٤٧
١١. تجريف الأخضر ١٥٠
البصـرة.. المنسـي والمستعاد ١٥٠
تقسـيمات ١٥١
كشوفات وحكايات ١٥٣
١٢. ألن فليرز يحضر حفلة عرس في الزبير ١٥٨